العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

[٢]

الطّبعَة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن - عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات - أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

محمدُ ناصرِ الدين الألباني

رحمه الله تعالى

حَضرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ

مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ

أعدَّها

«أبو إسلام»

صالح بن طه عبد الواحد

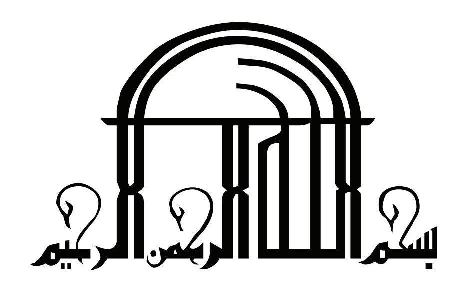
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن ـ عمان

ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

المجلد الثاني

[منهج محمد ﷺ في الدعوة إلى الله ووصاياه لأُمته]

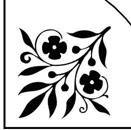

بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز المستخدمة في التخريج

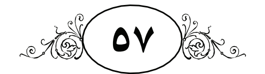
خ: صحيح البخاري.
م: صحيح مسلم.
د: سنن أبي داود.
ت: سنن الترمذي.
ن: سنن النسائي.
هـ: سنن ابن ماجه.
حم: مسند أحمد.
حب: صحيح ابن حبان.
خز: صحيح ابن خزيمة.
طب: المعجم الكبير للطبراني.
طس: المعجم الأوسط للطبراني.
طص: المعجم الصغير للطبراني.
ش: مصنف ابن أبي شيبة.
عب: مصنف عبد الرزّاق.
قط: سنن الدارقطني.
مي: سنن الدارمي.
ك: المستدرك على الصحيحين.
فع: مسند الشافعي.
ع: مسند أبي يعلى.
لس: مسند الطيالسي.
خد: الأدب المفرد للبخاري.
هب: شعب الإيمان للبيهقي.
هق: السنن الكبرى للبيهقي.
حل: حلية الأولياء لأبي نعيم.
(ص.ت): صحيح سنن الترمذي.
(ص.د): صحيح سنن أبي داود.
(ص.ن): صحيح سنن النسائي.
(ص.هـ): صحيح سنن ابن ماجه.
(ص.خد): صحيح الأدب المفرد.
(ص.غ.هـ): صحيح الترغيب والترهيب.
(ض.غ.هـ): ضعيف الترغيب والترهيب.
(س.ص): السلسلة الصحيحة.
(ص.ج): صحيح الجامع الصغير.
(ض.ج): ضعيف الجامع.
المشكاة: مشكاة المصابيح.
إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد.



منهج محمد ﷺ
في الدعوة إلى الله
ووصاياه لأُمته







محمد ﷺ

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن عيسى عليه السلام وتبيّن لنا كيف دعا قومه إلى عقيدة التوحيد، وكيف صبر على دعوته، وقبله كنا قد تكلمنا عن موسى عليه السلام، وعن إبراهيم عليه السلام، وعن نوح عليه السلام، وتبيّن لنا كيف دعوا جميعاً أقوامهم إلى عقيدة التوحيد، وكيف صبروا على دعوتهم حتى جاءهم نصر الله.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الرسول الخامس من أولي العزم من الرسل، مع خاتم الأنبياء والمرسلين، مع سيد ولد آدم ولا فخر، مع محمد بن عبد الله ﷺ.

عباد الله! عيسى عليه السلام هو آخر الأنبياء في بني إسرائيل، فلا نبي بعده في بني إسرائيل، وقد بشَّر عيسى عليه السلام برسولنا ﷺ، وقد أخبرنا الله بذلك في كتابه.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

عباد الله! جاء ﷺ وبُعث في الناس على فترة من الرسل بالشريعة الكاملة وبالدين القيم؛ لأنه لا نبي بعده، ولا رسول بعده، فجاء بشريعة تصلح للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ومن ادعى النبوة والرسالة بعد رسولنا ﷺ فهو أفّاك وضال وكذاب، وإن مات على ذلك فهو في نار جهنم، لِمَ؟.

لأنه قد جاءت الأدلة في كتاب ربنا، وفي سنّة نبيّنا، وقد أجمعت الأمة على أنه لا نبي بعد نبينا ولا رسول بعد رسولنا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].

آية صريحة في أنه لا نبي بعد نبينا، ولا رسول بعد رسولنا.

وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ تبيّن أنه لا نبي بعده، ولا رسول، يقول ﷺ: «**إن الرسالة والنبوَّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي، ولكن المبشرات رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة**»(١).

أمة الإسلام! يجب عليكم أن تعرفوا ذلك جيداً، فما من يوم إلا ونسمع من هنا وهناك من مجانين البشر من يدَّعي أنه نبي، أو من يدَّعي أنه رسول، فهذا كذَّاب أَشِرٌّ، فلا بد أن تعتقد بعقيدة راسخة أنه لا نبي بعد نبينا، ولا رسول بعد رسولنا.

قال ﷺ: «**مَثَلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنها، وأكملها، وأجملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة**»(٢).

أي: قد كمل البناء به ﷺ؛ أي: قد كمل الدين به ﷺ؛ أي: لا مجال لرسول ولا نبي بعده ﷺ، يقول ﷺ: «**فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء** عليهم السلام»(٣) عليهم الصلاة والسلام.

وقال ﷺ: «**فُضِّلت على الأنبياء بستٍ: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأحلَّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيوّن**»(٤).

وقال ﷺ: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٢٧٢)، حم: (٣/ ٢٦٧)، ك: (٤/ ٤٣٣)، [«ص.ج» (١٦٣١)].

(٢) **صحيح**: ت: (٣٦١٣)، حم: (٥/ ١٣٦)، [«ص.ج» (٥٨٥٧)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٢٨٧).

(٤) **صحيح**: م: (٥٢٣).

الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[١]، والعاقب الذي ليس بعده نبي.

أدلة من كتاب ربّنا، أدلة من سنّة نبينا، وإجماع من الأمة أنه لا نبي بعد نبينا، ولا رسول بعد رسولنا ﷺ.

إخوة الإسلام! بعث ﷺ في الناس وهم في ضلال مبين، فكانوا يعبدون الأصنام حتى كان أحدهم يصنع لنفسه صنماً من العجوة يعبده فإذا جاع أكله! ضلالٌ مبين، وكانوا يشربون الخمر، ويأكلون الميتة، ويقتلون الإناث، والقوي فيهم يأكل الضعيف، كانوا في ضلال مبين.

كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ في كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

كان الناس في ضلال مبين، فبُعث ﷺ للناس كافة كما قال له رب العزة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أمة الإسلام! بعث ﷺ كما علمتم والناس في ضلال مبين، ولكن كيف يبدأ دعوته مع الناس؟ هل يبدأ دعوة الناس أولاً إلى عقيدة التوحيد وإلى لا إله إلا الله كما فعل الأنبياء من قبله؟

أم أنه كان عليه أن يبدأ أولاً بالاجتماعات السرية لقلب نظام الحكم، ثم بعد ذلك يأمر الناس بعبادة الله؟!.

أم بدأ أولاً بحملة ودعوةٍ للإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ـ وقد كان الناس في أسوأ حالة اقتصادياً واجتماعياً، لو قال: أنا أُريد أن أصلح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لالتف حوله الكثير ـ هل فعل ذلك؟! الجواب: لا.

عباد الله! الأرض كانت تحت سيطرة الروم والفرس في ذلك

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣٣٩)، م: (٢٣٥٤).

الزمان، فهل رفع رايةً لتحرير الأرض من الفرس والروم؟ ولو فعل ذلك لالتف حوله الناس، كيف يبدأ؟ وبماذا يبدأ؟ ليس الأمر بيديه إنما الأمر يأتيه من السماء بوحي من الله وبأمر من الله.

فتعالوا بنا ـ يا عباد الله ـ لننظر كيف بدأ رسول الله ﷺ دعوته مع الناس.

بعد ما قصَّ الله ﷻ قَصَصَ الأنبياء في القرآن الكريم قال لرسوله ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، أي: إبدأ مع الناس واقتد بدعوة الأنبياء قبلك.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

والأنبياء جميعاً كما سمعنا بدأوا في دعوتهم (بالتوحيد) بالعقيدة أولاً، فما من نبي جاء لقومه إلا وهو يقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا. فبدأ ﷺ بدعوة قومه إلى التوحيد، يقول لهم: يا قوم قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فاستكبر الناس وتعجبوا، والله أخبرنا بذلك.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٥ ـ ٧]، ومع ذلك بقي ﷺ يدعو الناس إلى (لا إله إلا الله)، وإلى عقيدة التوحيد.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: ٦]؛ أي: لكم في الأنبياء، وفي منهج الأنبياء أسوة حسنة.

عباد الله! بعد ما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يسلك منهج الأنبياء أولاً في الدعوة إلى الله، أمر الله رسوله أن يصبر على هذا المنهج، وعلى هذا الطريق فهو طويل وشاق يحتاج إلى جهد كبير، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ أي: فاصبر على هذا الطريق، وعلى هذا المنهج، كما صبر أولوا العزم من الرسل. وقد بَيَّن لنا كيف صبروا على دعوتهم.

ويقول الله ـ ﷻ ـ لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

ورسولنا ﷺ يقول: «**والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[١].

فالله ينهى عن الاستعجال، والرسول كذلك ينهى عن الاستعجال.

عباد الله! علينا أن ندعوا الناس إلى الدين الصحيح وإلى العقيدة الصحيحة وعلينا أن لا نتعجل.

يا دعاة الاستعجال، كفانا عاطفة!! امتلأت السجون بشباب المسلمين، انتهكت الأعراض بسبب الاستعجال، وواقعنا اليوم في كل العالم يشهد بأن الاستعجال هو الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه.

فالله ـ ﷻ ـ يقول لرسوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

والرسول ﷺ يقول: «**ولكنكم تستعجلون**».

فالدعوة إلى العقيدة تحتاج إلى تربية، وصبر، وزمن، وعندها إذا نصرْنا الله في أنفسنا نصرَنا الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٤١٦).

إلى متى نبقى على هذا الاستعجال؟ إلى متى نضلل شباب المسلمين؟ خطب حماسية تشعل الحماس في الشباب فينطلقون إلى ما لا يعلمون، ويصنعون ما يجهلون، ويظنون أنهم يحسنون صنعاً، ثم يتبيّن لهم بعد ذلك أنهم قد حسنت نيتهم ولكن قد فسد تصرفهم، وهذا بسبب الجهل، فنقول: مهلاً يا دعاة الاستعجال، اتقوا الله في شباب المسلمين، اتقوا الله في الأمة، وادعوهم إلى الدين أولاً، وإلى العقيدة أولاً، ثم بعد ذلك يأتي النصر إن شاء الله من عند الله، ولكنكم تستعجلون. وبعد أن أمر الله رسوله بالسير على هذا المنهج أخبره بأن النصر والتمكين لمن سلكوا هذا المنهج بإذن الله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ٢١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

عباد الله! أمر الله رسوله أن يسلك منهج الأنبياء، وأمره أن يصبر على هذا المنهج، وأخبره أن النصر والتمكين لمن سلك هذا المنهج، فاستجاب رسول الله ﷺ لأمر ربه، وأخذ يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، ويقول لهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فتكبر الناس ووقفوا في وجهه ولم يؤمن به إلا القليل، ومع ذلك صبر على دعوته حتى نصره الله وأيده، فمات ﷺ بعد ما بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال.

عباد الله! متى بدأ ﷺ يدعو الناس إلى هذه العقيدة؟ وكيف دعا الناس إلى هذه العقيدة؟ وماذا قال للناس؟ وماذا قالوا له؟ وماذا طلب

منهم؟ وماذا طلبوا منه؟ هذا الذي سنعرفه ـ إن شاء الله ـ تعالى في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

عباد الله! لكن ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟

أولاً: إذا عرفنا أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ ولا رسول بعد رسولنا ﷺ، فيجب علينا أن نعلم أن الله سائلنا يوم القيامة عن هذا الدين؛ لأنه يجب علينا جميعاً كلٌ حسب استطاعته، أن نتعلم هذا الدين لنبلغه للناس، ليصل هذا الدين إلى كل الدنيا لأنه لا نبي بعده ﷺ ولا رسول.

فإذا نحن انشغلنا بالدنيا وتركنا هذا الدين، فمن الذي يقوم بتبليغه إلى بلاد الدنيا، من الذي يقوم؟ وسائل الإعلام! إنها ضد الدين! إذاً فعليكم أنتم أن تبلِّغوا هذا الدين للناس.

وإذا تعلمنا دين الله، وتعلمناه من الكتاب والسنّة الصحيحة، وبلَّغنا الناس هذا الدين كما جاء إلى محمد ﷺ، إذا فعلنا ذلك نجونا من عذاب الله في الدنيا والآخرة، أما إذا انشغلنا بجمع المال وبالمناصب وكلٌ يقول: نفسي نفسي، وحالنا يقول: نفسي وليهلك الجميع، فيوم القيامة سنندم، فما منا من أَحدٍ إلا وسيوقف بين يدي ربه ويسأل عن هذا الدين ماذا قدم له؟ فليسأل كلٌ منا نفسه ماذا عمل لهذا الدين وماذا قدم له؟ بل قد يكون منا من يعمل لهدم هذا الدين، أو يعادي هذا الدين أو يصد الناس عن هذا الدين! فلا أدري ماذا يفعل أمام الله يوم القيامة يوم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار، فاتقوا النار ولو بشق تمرة.

فيا دعاة الاستعجال، بدل هذا الذي تفعلونه علِّموا الناس الدين الصحيح لينطلقوا في الدنيا من مشرقها إلى مغربها يعلِّموا غيرهم هذا الدين.

فوالله إن هناك كثير من الكفار لا يعرفون عن الإسلام إلا أنه القتل

والتدمير والحرق والشدة والغلظة، هكذا عرَّفهم الإعلام، والإعلام ظالم في كل مكان فهو لا يقول الحق، ويقف جنباً إلى جنب مع أعداء الإسلام ليسيئوا إلى هذا الدين.

عبادَ الله! استقر في عقول كثيرٍ من الناس أنَّ الإسلام قتل وتدميرٌ وإرهابٌ، وهذه مفاهيمُ خاطئة روَّجها أعداء الإسلام؛ ليشوّهوا صورة الإسلام، ويصدوا الناس عنه، بينما الإسلام هو دين الرحمة، وأهل الإسلام يدعون الناس أولاً إلى الدخول في هذا الدين بلا إكراه، فإن أبوا فالجزية، فإنْ أبوا فالقتال، فالواجب علينا أن نتعلم هذا الدين كما نزل على محمدٍ ﷺ ثم ندعو الناس إليه بالحجة والبرهان.

ثانياً: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله هو وحده سبيل النجاة:

لِمَ يا عباد الله؟ لأن الناس إذا أصبحوا عبيداً لله سهل بعد ذلك كل شيء، فإن من تعلم العقيدة وأصبح عبداً لله إذا دعوناه إلى ترك الربا تركه، وإذا أُمرَ بالحجابِ حجب امرأته، وإذا نُهِيَ عن الخمر انتهى، وإذا أمرناه بالصلاة صلَّى، لِمَ؟ لأنه عبد والعبد ما عليه إلا أن يقول لسيده: سمعنا وأطعنا.

ولذلك انظر إلى كثير من المسلمين اليوم تراهم لا يستجيبون لله ولا لرسوله، أتدرون لم يا عباد الله؟ بسبب فساد العقيدة.

عباد الله! واللهِ إذا ربَّينا الشباب على العقيدة السليمة، ثم طُلب منهم الجهاد في سبيل الله ـ لإعلاء كلمة الله ولتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ـ فإنهم سيقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله، ولكن إذا كانوا لا يصلون الفجر في المسجد، ولا يحافظون على صلاة الجماعة، ولا يستطيعون أن يطلقوا لحاهم، فهل سيجاهدون في سبيل الله أم أنهم سيقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله؟!.

فالعقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، فلنتربى على العقيدة الصحيحة وليكن لسان حالنا قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊

٥٨

منهج النبيِّ محمدٍ ﷺ في الدعوة إلى الله

عباد الله! في الجمعة الماضية تبيّن لنا أن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين لقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولقوله ﷺ: «**إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي، ولا نبي، ولكن المبشرات رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة**»(١).

وقد تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن الله ﷻ أمر رسوله ﷺ أن يسلك منهج الأنبياء من قبله في الدعوة إلى الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

عباد الله! ولقد أوحى ربنا ـ جل وعلا ـ إلى رسوله ﷺ أن الأنبياء قبله بدءوا دعوتهم بالتوحيد.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (١٦٣١)] وقد تقدم تخريجه.

فأخبر الله ﷻ رسوله ﷺ أن الأنبياء قبله دعوا أقوامهم أولاً إلى عقيدة التوحيد.

وقبل أن يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد أَمره بعقيدة التوحيد أولاً، وبعبادة الله أولاً، وبإخلاص العبادة لله أولاً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وذلك كما أمر الله نبيّه موسى قبل أَن يُرْسله إلى فرعون.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١١ ـ ١٥].

وذلك يا عباد الله ليعلم الدعاة أنه يجب عليهم أن يتعلموا العقيدة أولاً قبل أن يعلموها الناس؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ولذلك الذي ضلل كثيراً من الناس هم الدعاة الذين دعوا الناس على غير بصيرة ولا علم، فإنهم لا يعلمون من العقيدة شيئاً، فهم يأخذون مواعظهم من عناوين الصحف، والمجلات، ولا يعرفون شيئاً عن العقيدة فكيف يدعون الناس إلى العقيدة وهم لا يعرفون العقيدة، فنقول لهم ها هو رسولنا ﷺ قبل أن يبدأ بدعوة الناس إلى العقيدة، قال الله ﷻ له: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ونقول لكل داعية: قبل أن تدعو الناس: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، تعلَّم العقيدة أولاً قبل أن تدعو الناس إليها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

عباد الله! وبعد أن كلف الله ﷻ رسوله بالعقيدة، وبعبادة الله أولاً أمره أن يقوم بدعوة الناس.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ [المدثر: ١ ـ ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)﴾ [المائدة: ٦٧].

فقام ﷺ في الناس يدعوهم إلى عقيدة التوحيد يقول لهم: يا قوم، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، يا قوم، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

فآمن به القليل وكفر به الكثير وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧)﴾ [ص: ٥ ـ ٧].

أمة الإسلام! وهذا هو منهج المصطفى ﷺ في دعوة الناس إلى العقيدة، نقوله لكم، وننقله لكم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، وليعلم الجميع أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

• بدأ ﷺ يدعو الناس على جميع المستويات، وفي جميع الاتجاهات، بالليل والنهار، سرّاً وعلانية، لا يكل ولا يمل، فأخذ يدعو الناس في مكة إلى عقيدة التوحيد، ويربي أصحابه على عقيدة التوحيد أولاً، لِمَ؟ لأنهم سيتحملون أمراً ثقيلاً وستقوم دولة الإسلام على أعناقهم، فأخذ يربيهم أولاً على عقيدة التوحيد، فكان أول ما بدأ به الرسول ﷺ في مكة هو دعوة الناس إلى التوحيد، وكان يجتمع بأصحابه سراً في البيوت ليربيهم على هذه العقيدة.

• هل سمعتم أنه اجتمع بأصحابه في مكة بادىء الأمر، وأخذ يخطط لقلب نظام الحكم في مكة، أو لإزالة المناصب من أيدي الكفار ونقلها إلى أيدي المسلمين؟.

• هل سمعتم يوماً أن رسول الله ﷺ وعد أبا بكر أن يجعله وزيراً إذا قامت دولة الإسلام؟.

• هل سمعتم يوماً أن الرسول ﷺ رغَّب عمر بن الخطاب أن يدخل في الإسلام ليكون وزيراً في دولة الإسلام؟ هل سمعتم هذا؟

• هل سمعتم أن الرسول ﷺ بدأ دعوته بذلك؟ الجواب: لا.

عباد الله! لا يختلف في ذلك اثنان؛ لأن هذه مطالب دنيوية، والذي يتربى على عقيدة التوحيد لا يفكر أبداً في هذه الأمور التي هي من الدنيا وستفنى مع فناء الدنيا.

عباد الله! ولكن الرسول ﷺ أخذ يربي أصحابه على عقيدة التوحيد فلما ضيّق الكفار على أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوهم ما كان منهم إلا أن هاجروا من مكة إلى الحبشة وتركوا الديار والأهل والأوطان والأموال حفاظاً على عقيدة التوحيد. وهناك في الحبشة يسألهم ملك الحبشة عن هذا الدين الذي جاؤوا به فيقول جعفر بن أبي طالب: (أيها الملك إنا كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونسيء الجوار، ونأكل الميتة، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحنُ وآباؤنا مِنْ دونه من الحجارة والأوثان... فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءَ به مِنْ عند الله، فعبدنا الله وحدَه فلم نشرك به شيئاً... فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عَنْ ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان مِنْ عَبادة الله تعالىٰ... فلما قهرونا.. خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك)[١].

الشاهد ـ يا عباد الله ـ من قول الصحابي أن الرسول ﷺ دعاهم

(١) **صحيح**: حم: (١/٢٠١ ـ ٢٠٢)، حل: (١/١١٥ ـ ١١٦)، خز: (٢٢٦٠)، هب: (١/٩٣)، [«فقه السيرة» (ص١١٥)].

أولاً لعبادة الله، وترك عبادة الأصنام؛ لأن عبادة الأصنام التي انتشرت في ذلك الزمان هي التي أضلت الناس، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦].

إخوة الإسلام! ولم يكتف الرسول ﷺ بدعوة أصحابه ومن حوله فقط بل أرسل إلى جميع الملوك والرؤساء في كل أنحاء الدنيا.

فاسمعوا يا أمة الإسلام، وتعلموا يا دعاة الاستعجال، ها هو رسولنا ﷺ يرسل رسائله إلى ملوك الدنيا يدعوهم إلى عقيدة التوحيد أولاً.

وهذا نص الرسالة التي أرسلها الرسول ﷺ إلى هرقل ملك الروم:

«**بسم الله الرحمن الرحيم من محمدٍ عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم**».

ـ يا دعاة الإسلام، أستحلفكم بالله لو أن عالماً من الأمة الآن كتب رسالة إلى رئيس أو إلى ملك وكتب فيها هذا الكلام، والله لاتهمناه بالخيانة، واتهمناه بالجبن والعمالة كيف يكتب هذا الكلام؟! لأننا تربينا على أيدي دعاة الاستعجال بأن الرجل الشجاع فينا هو الذي يكفِّر وهو الذي يقول كذا أو كذا على المنابر، لا يا أمة الإسلام ـ.

ها هو رسولنا ﷺ يقول لملك الروم:

«**من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين** ـ ثم كتب له آية من كتاب الله ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾»[1] [آل عمران: ٦٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٧).

أمة الإسلام! كان الرسول ﷺ يدعو ملوك الأُمم إلى عقيدة التوحيد، ما سمعنا أنه ﷺ قال له: يا هرقل اترك هذا المنصب إننا نريده! تَخَلَّ عن هذا الملك فإننا نريده! لا، فإن الرسول ﷺ كالأنبياء من قبله لا همّ لهم إلا أن يخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ولم يكتف ﷺ بدعوة الناس في مكة، ولا بدعوة الملوك والرؤساء إلى عقيدة التوحيد بل ربّى أصحابه على عقيدة التوحيد وأرسلهم إلى بلاد الدنيا يدعون الناس إلى عقيدة التوحيد.

فأرسل ﷺ معاذاً إلى اليمن فقال له: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاةً من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس**»(١).

نعم، إنها العقيدة.

أَتَعَجَّبُ في هذا الزمان مِنْ دعاة الاستعجال، كيف يكفِّرون المجتمع المسلم، ويطلقون على المجتمع بأنه كافر ويكفِّرون الناس، ويستحلون الدماء والأموال والأعراض! إلى أولئك نقول: لم لا تدعون هذا المجتمع ـ الذي كفَّرتموه حسب ظنكم ـ إلى عقيدة التوحيد أولاً؟ ثم كيف تدعون الناس إلى الجهاد في سبيل الله وأنتم تكفِّرون المجتمع؟ وهل يكون هناك جهاد في مجتمع كافر؟ الجواب: لا.

عجيب! ها هو رسول الله ﷺ يربي أصحابه ورسله على أن أول ما تدعون الناس إليه هو العقيدة، ثم بعد ذلك ادعوهم إلى باقي الإسلام فيسهل الأمر عليكم وعليهم.

ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك بل أخذ يبايع النساء على عقيدة التوحيد.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٨٩)، م: (١٩).

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: ١٢].

فبايع الرسول ﷺ النساء على عقيدة التوحيد، وألا يشركن بالله شيئاً، ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك بل ربّى الأطفال على عقيدة التوحيد.

الجماعات اليوم يربون الأطفال على كرة القدم، وعلى الرياضة، وعلى الغناء، يبرِّرون ذلك قائلين: هذه رياضة إسلامية، هذه أغانٍ إسلامية، هذا دف إسلامي ويظنون أن الأسماء تغير من المعاني، فلو سمينا الخمر بغير اسمها هل تصبح الخمر حلالاً؟ فنقول لهم: اتقوا الله عَزَّ وَجَلَّ في شباب المسلمين وفي أطفال المسلمين، ها هو رسولنا ﷺ يربي الأطفال على عقيدة التوحيد يقول ﷺ يوماً لابن عباس: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..**»(١).

تعليم من رسول الله ﷺ حتى للأطفال، نعم ليعلم الجميع أَنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

عباد الله! تبيّن لكم أن الرسول ﷺ أخذ يدعو أولاً إلى عقيدة التوحيد منذ بُعث حتى لقي الله وهو يربي أمته على عقيدة التوحيد، بل وقد شُرِع الجهاد في سبيل الله من أجل التوحيد، ولإبادة الشرك، ما شرع الجهاد للوطنية ولا للحمية ولا للشجاعة ولا للرياء، ولا ليُرَىٰ مكانه بين الناس! إنما شرع الجهاد في سبيل الله من أجل (لا إله إلا الله).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣]، [أي: حتى لا يكون شرك في الأرض].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

ويقول ﷺ: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله**»(١).

ولما سُئِلَ ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(٢).

فالجهاد يجب أن يكون من أجل العقيدة السليمة، من أجل (لا إله إلا الله).

إذن نقول: المَخْرج يا أمة الإسلام كما بيّنه لنا رسول الله ﷺ فقال: «**إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذُلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٣) فهذا الذي نحن فيه من الذل والهوان لا ينزع عنا حتى نرجع إلى ديننا، إلى عقيدتنا، إلى كتاب ربنا، إلى سنّة نبينا.

فبما صلح أول هذه الأمة يصلح آخرها وإلا سنبقى على ما نحن عليه من الهوان والذل؛ لا يُسمع لنا إذا تكلمنا، أعراضنا هانت علينا، أرضنا هانت علينا، أموالنا هانت علينا السبب؛ لأننا تركنا ديننا خلف ظهورنا، وأخذنا نركض خلف الدنيا نتنافس فيها مع الكفار، فلا نحن بلغنا منزلتهم في الدنيا، ولا نحن تمسكنا بديننا، فهذا حالنا الذي لا يرضى به مؤمن؛ لقد وصلنا في العقيدة والأخلاق إلى مستوى لا نحسد عليه! والعلاج؛ «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»، ما قال ﷺ حتى تجاهدوا في سبيل الله، بل قال: «**وتركتم الجهاد في سبيل الله سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»، فإن رجعنا إلى ديننا رفعت راية

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٨٦)، م: (٢١).
(٢) **صحيح**: خ: (٧٠٢٠)، م: (١٩٠٤).
(٣) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

الجهاد في سبيل الله أما الآن فإن رفع راية الجهاد قبل الاستعداد للجهاد تضييع للوقت، وللشباب، وللقوى، وأكلُ الثمار قبل نضجها، واستعجالٌ، فالله ﷻ قال لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ورسولنا ﷺ يقول: «**والله ليتمن هذا الأمر ـ أي هذا الدين ـ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

عباد الله! ما هو واجبنا نحو هذا الرسول الكريم، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور؟

هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

٥٩

واجبُ الأمة اتجاه النبيِّ ﷺ (١)

عباد الله! تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن رسول الله ﷺ بُعث في الناس وهم في ضلال مبين، فأخذ ﷺ يدعوهم إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من الشرك.

• ولقد أخبرنا الله ﷻ أن الرسول ﷺ جاء لينير للبشرية الطريق إلى الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

• جاء ﷺ رحمة للبشرية.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

• وكان ﷺ حريصاً على أن يدخل كل الناس في دين الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فقام ﷺ في الناس يدعوهم إلى عقيدة التوحيد، ليخرجهم بإذن الله من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات البدع والخرافات إلى نور السنّة، فَبَلَّغَ ﷺ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وتركنا على

المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، ولذلك امتن الله على المؤمنين ببعثة محمد ﷺ فقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

عباد الله! فما هو واجبنا معشر المسلمين نحو رسول الله ﷺ الذي أنقذنا الله ﷻ به فأخرجنا من الظلمات إلى النور؟

أولاً: يجب على المسلمين في كل مكان وعلى جميع المستويات، وفي كل زمان أن يحبوا رسول الله ﷺ أكثر من أنفسهم، وأولادهم، وأهليهم، والناس أجمعين.

وذلك ـ يا عباد الله ـ لأن محبة الرسول ﷺ دليل على كمال الإيمان، ولأن محبة رسول الله ﷺ دليل على صلاح العقيدة.

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[1].

وقال ﷺ: «**ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحب المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[2].

عباد الله! وهنا سؤال مهم:

كيف تكون هذه المحبة؟ ومن هو المحب حقاً وصدقاً للرسول ﷺ؟ فأدعياء المحبة كثير، والذين يدَّعون محبة الرسول ﷺ كثير، فمن هم الذين يحبون رسول الله وكيف تكون المحبة؟ هل هم الذين يحتفلون بمولده في كل عام بالطبل والرقص وأكل الحلوى؟ هل هم هؤلاء ـ يا عباد الله؟ الجواب: لا، ولو كان هذا خيراً لفعله الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنهم كانوا يحبون رسول الله ﷺ أكثر منا، إذاً المحبة هي الاتباع

---

(١) **صحيح**: خ: (١٥).

(٢) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).

وليست هي بمجرد الكلام، المحبة هي التمسك بسنّة رسول الله ﷺ، والله ﷻ يكشف لنا في كتابه أن المحبة هي الاتباع، وأن الاتباع دليل على المحبة، فاليهود قالت: إبراهيم ﷺ منا والنصارى قالت: إبراهيم منا، فكذبهم الله تعالى.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

وبيّن سبحانه أن الذين اتبعوا إبراهيم هم أولى الناس بإبراهيم عليه السلام، وقال إبراهيم عليه السلام كما جاء في القرآن في آية أخرى: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]؛ أي: على ما جئت به، فإنه مني. ولم يقل: فمن احتفل بمولدي فإنه مني، ولم يقل إبراهيم ﷺ: ومن أنشد الأناشيد فإنه مني، لا يا عباد الله.

ولذلك نقول: إن أولى الناس بمحمد ﷺ للَذّين اتبعوه، والرسول ﷺ يقول كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦]، أما الذين يدعون المحبة فينشدون الأناشيد، ولا يعرفون رسولهم إلا في كل عام مرة نقول لهؤلاء: تدَّعون المحبة بألسنتكم، وتخالفون رسول الله بأعمالكم، إن هذا لفي القياس شنيعُ.

تعصي الرسول وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فيا من يعصون رسول الله بفعلهم، ويدَّعون المحبة بألسنتهم كبرت كلمة تخرج من أفواهكم إن تقولون إلا كذباً.

فالذين اتبعوا رسول الله ﷺ في منهجه، والذين تمسكوا بسنّة رسول الله ﷺ، وعضُّوا عليها بالنواجذ، ودافعوا عنها، ونشروها بين الناس هم أولى الناس بمحمد ﷺ.

إذاً يا أمة الإسلام، الواجب علينا أن نحب رسول الله ﷺ أكثر من أنفسنا وأولادنا وأهلينا والناس أجمعين، والمحبة هي الاتباع، بأن نسلك

منهجه، وأن نتأسى به، وأن نستن بسنّته، وأن ندعوا الناس إليها، وأن نعض عليها بالنواجذ.

ثانياً ـ يجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يطيعوه في كل ما أمر.

وذلك لأمور منها: أن في طاعته ﷺ الهدى كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وفي مخالفته ﷺ الهلاك والدمار والعذاب في الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ولو تركتم سنّة نبيكم لضللتم)[1]، ففي طاعته الهدى، وفي مخالفته الهلاك والدمار.

ومنها: أن في طاعة رسول الله ﷺ دخول الجنة.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [النساء: ١٣].

وقال ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[2]. وفي معصيته ﷺ دخول النار.

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

وها هم أهل النار في النار يندمون على أنهم لم يستجيبوا لرسول الله ﷺ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨].

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٤).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٨٥١).

من أجل ذلك ينادي ربنا ـ جلَّ وعلا ـ على المؤمنين ويأمرهم أن يطيعوا رسول الله ولا يتولوا عنه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

ثالثاً ـ واجبنا نحو رسول الله ﷺ أن نستجيب له إذا دعانا لما يحيينا:

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

فعلى المسلمين أن يستجيبوا لرسول الله إذا دعاهم لما يحييهم، والرسول ﷺ ما ترك شيئاً يقربنا إلى الجنة إلا ودعانا إليه، وما ترك شيئاً يقربنا من النار إلا وحذرنا منه، ولكن ـ يا عباد الله ـ تعالوا وانظروا معي لمن نستجيب؟ هذا حالنا بين أيدينا فانظروا معي، رسولنا الكريم ﷺ دعانا إلى الحجاب، والشيطان والهوى يدعوننا إلى التبرج، لمن استجبنا يا عباد الله؟ كل منا يضع نساءه وبناته أمامه الآن، لمن استجبنا على مستوى الفرد والشعب والأمم؟.

- حذرنا الرسول ﷺ من التبرج وأمرنا كما أمره الله بالحجاب، والشيطان دعانا للتبرج وزين لنا التبرج، لمن استجبنا؟!.

- الرسول ﷺ دعانا إلى مخالفة الكفار، والشيطان دعانا لأن نتشبه بالكفار في أشكالنا، في بيوتنا، بمن تشبهنا؟.

- الرسول ﷺ دعانا إلى أكل الحلال، والشيطان والهوى يدعوننا لأكل الربا، لمن استجبنا؟.

- الرسول ﷺ دعانا لتحكيم شرع الله، والشيطان دعانا لأن نتحاكم لغير الله، فلمن استجبنا؟.

• الرسول ﷺ دعانا لإعفاء اللحى، والشيطان دعانا لحلق اللحى، لمن استجبنا؟.

• الرسول ﷺ جاء ليُحل لنا الطيبات، ويُحرم علينا الخبائث، والشيطان أحلّ لنا الخبائث، وحرّم علينا الطيبات، لمن استجبنا؟.

عبادَ الله! الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وقـال ـ تـعـالـى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

لماذا لم يستجيبوا؟ لأنهم اتبعوا أهواءهم، واتبعوا الشيطان، والشيطان يعترف بذلك في النار.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فالكثير استجاب للشيطان والهوى، ولم يستجب لرسول الله ﷺ، فالواجب علينا أن نستجيب لنداء ربنا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فبالاستجابة لرسول الله ﷺ تكون الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وبالاستجابة لرسول الله ﷺ ندخل الجنة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الرعد: ١٨].

أما الذين لم يستجيبوا لرسول الله ﷺ فسيندمون غداً في وقت لا ينفع فيه الندم.

أمة الإسلام! قلنا: إن الرسول ﷺ جاء والناس في ضلال مبين فأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، وقلنا: الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يحبوه أكثر من أنفسهم، وأولادهم، وأهليهم، والناس أجمعين، وقلنا: الواجب على المسلمين أن يطيعوا رسول الله ﷺ فيما أمر، والواجب على المسلمين أن يستجيبوا لرسول الله ﷺ إذا دعاهم لما يحييهم.

رابعاً ـ الواجب على المسلمين نحو رسول الله أن يحافظوا على الأمانة التي تركها لهم ولا يخونوها:

عبادَ الله! أتدرون ما هي الأمانة؟ إنها هذا الدين، إنها الإسلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧، ٢٨].

فالواجب على المسلمين أن يحافظوا على هذه الأمانة، فرسولنا ﷺ ما انتقل من هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل الله لنا الدين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فرسولنا ﷺ ما خرج من هذه الدنيا إلا وقد كمل الدين، فقد تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، فما ترك رسول الله ﷺ خيراً يقربنا إلى الجنة إلا وأمرنا به، وما ترك شراً يُقربنا إلى النار إلا وحذرنا منه، ومع ذلك نقع في الشر، ونقترف المعاصي!!

فالواجب علينا أن نتعلم هذا الدين الذي تركه لنا رسول الله ﷺ، وأن نعمل بهذا الدين، وأن ندعو الناس لهذا الدين، وأن نصبر على ذلك حتى نلقى الله وإلا فنحن في خسران مبين.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يجعلني وإياكم من المحافظين على هذه الأمانة

التي تركها لنا رسول الله ﷺ

وأن ندعو الناس إليها حتى نخرج من هذه الدنيا

* * *

٦٠

واجب الأمة تجاه النبي ﷺ (٢)

عباد الله! في الجمعة الماضية تبيّن لنا أن الناس كانوا في ضلال مبين، فبعث الله محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فجاء ﷺ فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمَّة، وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين. وقلنا في الجمعة الماضية الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ:

أولاً: أن يحبّوه أكثر من أنفسهم وأولادهم وأهليهم وأموالهم والناس أجمعين.

ثانياً: أن يطيعوه في كل ما أمر.

ثالثاً: أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحييهم.

رابعاً: أن يحافظوا على الأمانة التي تركها لهم ولا يخونوها وهي هذا الدين العظيم.

ونكمل في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فنقول:

خامساً: يجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يتأسوا به وحده استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

عباد الله! يطلب ربنا جلَّ وعلا من المؤمنين جميعاً في كل زمان ومكان وعلى جميع المستويات أن يتأسوا برسول الله ﷺ وحده.

والسؤال الذي يفرض نفسه علينا الآن: لماذا يطلب ربنا ـ جلَّ وعلا ـ منا معشر المسلمين أن نتأسى برسول الله ﷺ وحده؟

أولاً: لأنه ﷺ أفضل البشر على الإطلاق.

فالله ﷻ اصطفى أنبياءه من بني آدم، واصطفى أُولي العزم من أنبيائه، واصطفى محمداً ﷺ من أولي العزم فهو أفضل البشر على الإطلاق، يقول ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(١)، فعندما أمرنا الله ﷻ أن نتأسى برسول الله ﷺ فإنه ﷻ يأمرنا أن نتأسى بأفضل البشر.

ثانياً: أمر الله عباده أن يتأسوا برسول الله ﷺ؛ لأنه لا يتكلم من عند نفسه، ولا يدعو بما يهوى إنما يدعو بوحي يوحى إليه من السماء.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤**﴾ [النجم: ٣، ٤]، فالله ﷻ أمرنا أن نتأسى برسوله ﷺ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

ثالثاً: أمر الله المسلمين في كل مكان أن يتأسوا برسول الله ﷺ.

● لأنه يدعو ويهدي إلى صراط مستقيم ليس كما يفعل باقي الناس. كما نرى الكثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ: قادة، وزعماء، وحكاماً ومحكومين يدعون الناس إلى طرق الضلال، كما نراهم في كل زمان ومكان. أما المصطفى ﷺ فهو لا يدعو إلا إلى صراط مستقيم.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣**﴾ [المؤمنون: ٧٣].

● الله ﷻ أمرنا أن نتأسى برسول الله ﷺ لأنه حريص على الخير لنا أكثر من أنفسنا.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨**﴾ [التوبة: ١٢٨].

فالله ﷻ أمرنا أن نتأسى به؛ لأنه ـ واللهِ ـ يحب لنا الخير أكثر مما نحبه لأنفسنا.

---

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٤٣٠٨)، حم: (٣/ ٢)، حب: (٦٤٧٨)، ع: (١٣/ ٤٠١)، هب: (٢/ ١٨٠)، [«ص.غ.هـ» (٣٦٤٣)].

• أمر الله المسلمين أن يتأسوا برسول الله ﷺ؛ لأن من أطاعه فقد أطاع الله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

أمة الإسلام! تبيّن لكم أن الله ﷻ يطلب منا معشر المسلمين أن نتأسى برسول الله ﷺ وحده، وإذا نظرنا إلى المسلمين في هذا الزمان العجيب وجدناهم أشكالاً وألواناً، فرقاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، أتدرون لم؟ لأنهم لم يتأسوا برسول الله ﷺ وحده؛ ولكن هذا يتأسى بشيخه، وهذا يتأسى بأميره، وهذا يتأسى بحزبه، وهذا يتأسى بجماعته، فتراهم تفرقوا وضعفوا فانتصر عليهم الكفار وساموهم سوء العذاب، لِمَ؟ لأنهم تفرقوا ولم يأخذوا من منبع واحد، فانظر ترى هذا يلبس عمامة خضراء فنقول له أَأَمرك رسول الله بهذا؟ هل أنت تتأسى برسول الله في ذلك؟ فيقول لك: لا، إنما أنا صوفي، وشيخي يأمرني بذلك.

فانظروا ـ عباد الله ـ أمره شيخه فقال له: سمعنا وأطعنا، وتأسى بشيخه فتراه يلبس عمامة خضراء ويحمل سبحة طويلة، ولا يتأسى بذلك برسول الله ﷺ، وآخر تراه قد ارتدى بدلة، وربطة في عنقه وجعل لحيته كالخيط، فإذا قلت له: الرسول أمرك بذلك؟ يقول لك: لا، إنما أنا أتأسى بمؤسس الجماعة، إنما أنا أتأسى بمؤسس الحزب، إنما أنا أتأسى بأميري! وكان أولى له فأولى أن يتأسى برسول الله ﷺ.

وآخر تراه قد حلق لحيته، وتشبه بالكفار وتراه، ينادي بالإسلام، وينادي بدولة الإسلام وهو يتشبه بالكفار فإذا قلت له: اتق الله يا عبد الله! أرسول الله ﷺ أمرك بذلك؟ أأنت تتأسى برسول الله ﷺ في ذلك؟ يقول لك: لا إنما الدعوة تحتاج إلى هذا!! وفقه الواقع يحتاج منا إلى هذا!! والعمل الجماعي المنظم من وراء الجدران يحتاج منا أن نتشبه بالكفار. فنقول لهم: والله لو كان هذا خيراً لفعله الصحابة.

وآخر لا يصلي في المسجد فإن سألته عن ذلك تراه يكفِّر الناس،

ويكِّفر الصحابة، ويكفِّر الأئمة والحكام والجماعات، ويكفِّر كل الناس ويقول: هذه مساجد ضرار! آلله أمرك بهذا يا عبد الله؟ لا ولكنه تأسى بأميره الذي حمَّله هذه الأفكار السيئة فأخذ يتأسى به ويعمل كما يعمل ولا يتأَسَّ برسول الله ﷺ.

إخوة الإسلام! لو نظرنا إلى المسلمين في هذا الزمان نراهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تخلوا عن سنّة رسول الله، ولم يتأسوا برسول الله ﷺ، بل قالوا: الإيمان في القلب ويكفينا التصديق، إننا نؤمن أن الذي خلقنا هو الله، فتراهم تشبهوا بأشكالهم بالكفار، مع أن الرسول ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(١)]، فتراهم عندما تشبهوا بالكفار أحبوهم والرسول ﷺ يقول: «**المرء مع من أحب**»[(٢)]، فلما تشبهوا بالكفار، أحبوا الكفار والوهم قلباً وقالباً. والله ﷻ يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

القسم الثاني: ابتدعوا في دين الله، وأخذوا يزيدون على سنّة رسول الله، وتأسوا بغير رسول الله ﷺ، فابتدعوا في دين الله، والرسول ﷺ يقول لهؤلاء المبتدعة الذين ابتدعوا ديناً ما أنزل الله به من سلطان: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٣)]. فنقول لهؤلاء المبتدعة: استريحوا فعملكم مردود عليكم، ويوم القيامة ستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، والرسول ﷺ يتبرأ من أمثال هؤلاء.

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/١٧٩)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٨١٧)، م: (٢٦٤٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

عن أنس رضي الله عنه قال: (جاء ثلاث رهطٍ إلى بُيُوت أزوَاج النَّبيِّ ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ـ أي عدُّوها قليلةً ـ فقالوا: أين نحن من النبي ﷺ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني**»[(١)].

ويوم القيامة يخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيقول: «**وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[(٢)].

فقد غيَّروا في الدين، وابتدعوا في الدين، وألّفوا في الدين ما لم ينزل الله به من سلطان.

القسم الثالث: أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم، وهم قليل وغرباء بين الناس، وهؤلاء الذين تمسكوا بسنّة رسول الله، وعضوا عليها بالنواجذ، تأسوا برسول الله ﷺ واعتزوا بذلك بين الناس استجابةً لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

واستجابوا لقوله ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله، وسُنّتي، ولن يتفرّقا حتى يردا علي الحوض**»[(٣)].

واستجابوا لقوله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي يرى اختلافاً كثيراً، فعليكم**

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٦)، م: (١٤٠١).

(٢) **صحيح**: خ: (٦١٦١).

(٣) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(١).

عباد الله! ضرب لنا الفاروق عمر ﭬ مثلاً أعلى في التأسي برسول الله ﷺ بدون زيادة ولا نقصان، إذ يُقبِّل عمر ﭬ يوماً الحجر الأسود ويقول: (إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلِّك ما قبلتك)(٢). هذا هو التأسي، هذا هو الاتباع، هذه هي المحبة الخالصة، والحب الصادق، إنهم يتمسكون بسنّة رسول الله ﷺ ويحيونها بين الناس بكل عزة وكرامة بخلاف أولئك الذين يستحيون من اللحية، والذين يستحيون أن يسافروا إلى بلاد الكفر بلحاهم وثيابهم، فنقول لهؤلاء: كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فلو ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله.

عباد الله! قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالله ﻷ في هذه الآية يقول: يا معشر المسلمين، من كان يريد وجه الله، من كان يريد الجنة فعليه أن يتأسى برسول الله ﷺ، ومن كان يريد عزة الدنيا والآخرة فليتأسى برسول الله ﷺ، فالناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، فمن أراد أن يكون من أهل الجنة فعليه أن يتأسى برسول الله ظاهراً وباطناً.

المنافقون كانوا على عهد رسول الله ﷺ يتشبهون برسول الله ظاهراً ومع ذلك يبطنون الكفر. العجب منا في هذا الزمان أننا تشبهنا بالكفار ظاهراً وادعينا الإيمان باطناً! فإنك ترى الرجل فلا تميزه عن الكافر أو

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، حم: (١٢٦/٤)، حب: (٥)، طب: (٢٤٨/١٨)، [«س. ص» (٢٧٣٥)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٥٢٠).

المنافق، لا يظهر عليه علامة من علامات الإسلام، لكنه يجلس في المجالس، ويكتب في الجرائد، ويتكلم باسم الإسلام، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

المنافقون تشبهوا برسول الله ﷺ مع أنهم يبطنون الكفر، ولكنهم تشبهوا به في الدنيا وإن كان ذلك لا ينفعهم في الآخرة، وأما نحن فلقد تجرأنا على الله وتشبهنا بالكفار وادعينا في الباطن الإيمان لِمَ؟ بسبب الجهل، ولو أننا تعلمنا ديننا ما وقعنا فيما وقعنا فيه. فبسبب الجهل أصبحنا لا نميز بين الحلال من الحرام، فأكل الكثير من المسلمين الربا وهم لا يعرفون أبواب المساجد؛ فطوال اليوم هم عاكفون على الدنيا يجمعون الدنانير! وطوال الليل لا فرق بينهم وبين الدواب!

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣]، لا يميزون بين الحلال والحرام بسبب الجهل.

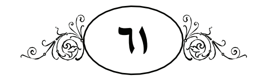
عبادَ الله! بسبب الجهل بنو إسرائيل قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ونحن أخذنا نطوف حول القبور، وندعو الأموات من دون الله بسبب الجهل، وتركنا الصلاة في المساجد وكفّرنا المجتمع بسبب الجهل.

مَنْ مِن المسلمين يأتي لدروس العلم أو يتعلم؟ ضاع العلم بين الكِبْر والحياء، هذا يستحي أن يأتي إلى المسجد ليجلس فيتعلم لأنه فلان، وهذا يتكبر يقول: أنا فلان الغني آتي إلى المسجد وأجلس بين الفقراء والمساكين، وأنا فلان الأمير أو الوزير أو كذا أجلس بين الفقراء، فيبقىٰ جاهلاً حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت ندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقني وإياكم علماً نافعاً

❁ ❁ ❁



الوصية الأولىٰ: «أوصيكم بتقوى الله...»

عباد الله! في الجمع الماضية تبيّن لنا أن الله ﷻ أرسل رسوله بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فقام ﷺ في الناس يدعوهم أولاً إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك، فما ترك ﷺ شيئاً يقربنا من الله والجنة إلا وأمرنا به، وما ترك ﷺ شيئاً يقربنا إلى النار إلا وحذرنا منه، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال، وقلنا في الجمع الماضية: إنّ الواجب على المسلمين في كل زمان ومكان وعلى جميع المستويات نحو رسول الله ﷺ.

أولاً: أن يحبوه أكثر من كل شيء.

ثانياً: أن يطيعوه في كل شيء.

ثالثاً: أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحييهم.

رابعاً: أن يحافظوا على الأمانة العظيمة التي تركها لهم ولا يخونوها وهي هذا الدين.

خامساً: أن يتأسوا به وحده في عقيدته، وفي عبادته، وفي أخلاقه، وفي معاملاته.

ونكمل في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ فنقول:

سادساً: يجب على المسلمين في كل مكان نحو هذا الرسول العظيم الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور أن يقبلوا وصاياه، وأن يعضوا عليها بالنواجذ، وموعدنا في هذا اليوم مع الوصية الأولى من وصايا المصطفى ﷺ.

• عن العرباض بن سارية ﵁ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله ﷿، والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي، وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل بدعةٍ ضلالة**»(١).

نعم والله، إنها موعظة مودع خرجت من القلب إلى القلب، فيها والله سعادة الدنيا والآخرة لمن أخذ بها، وعض عليها بالنواجذ، وعمل بها حتى يخرج من هذه الدنيا.

• فتزود بتقوى الله؛ فالتقوى هي زادك لتستقيم على الصراط المستقيم في الدنيا، وعلى الصراط في الآخرة.

• وبالتمسك بسنّة رسول الله تثبت على الصراط المستقيم في الدنيا، وتثبت على الصراط في الآخرة.

• وبالابتعاد عن البدع تنجو من الضلال في الدنيا وتثبت على الصراط في الآخرة. وهذه هي سعادة الدنيا والآخرة.

يقول ﷺ لأصحابه في هذه الموعظة: «**أوصيكم بتقوى الله**»، فأوصاهم أولاً بالعقيدة، لتعلموا وليعلم الجميع أنها العقيدة أولاً في الدعوة إلى الله.

وتقوى الله: أن تعبد الله وحده، فبعبادتك لله تتحصل على التقوى. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: ٢١].

---

(١) **صحيح**: هق: (١٠/ ١١٤)، د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، حم: (٤/ ١٢٦) [«ص.غ. هـ» (٣٧)].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن تقوى الله هي خير زاد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن تقوى الله هي خير لباس، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن التقوى تجعلك عند الله من أكرم الناس، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنها تجعل لك من كل ضيق مخرجاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأن الله لا يقبل الأعمال الصالحة إلا من المتقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنها تمنعك من المعاصي، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنك بها تنجو على الصراط يوم القيامة وما أدراك ما الصراط؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأننا بها نسكن الجنة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر: ٥٤]، **وكما قال ـ تعالى ـ**: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ [النبأ: ٣١]، **وقال ـ تعالى ـ**: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥]. **وقال ـ تعالى ـ**: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور: ١٧].

• «**أوصيكم بتقوى الله**»؛ لأنها هي وصية الله لعباده الأولين

والآخرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

من أجل ذلك كله قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله**»، فالعاقل يا أمة الإسلام والذي يريد النجاة هو من يأخذ بهذه الوصية في هذه الدنيا فيتزود بزاد التقوى الذي ينفعه في هذا السفر:

تزود من معاشك للمعادِ وقم لله واجمع خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً فإن المال يُجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قومٍ لهم زاد وأنت بغير زاد

عبادَ الله! العاقل واللهِ هو الذي يتزود بالتقوى، هو الذي يأخذ بهذه الوصية؛ لأن العمر قليل، والأيام تمر بنا فنحن في هذه الجمعة أقرب إلى الموت من الجمعة الماضية.

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقاً كأنه إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام وهن قلائل

عبادَ الله! العاقل هو الذي يأخذ بهذه الوصية، ويتزود بالتقوى لأن الموت يأتي بغتة.

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر

وعلى من تزود بتقوى الله، وأخذ بهذه الوصية ـ قبل أن ينزل بساحته ملك الموت ـ عليه أن يأخذ بالشطر الثاني من الوصية قال ﷺ: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً**»: جماعات، أحزاب، آراء، أفكار، كل قد ركب رأسه ولا أحد يرد الأَمر للكتاب والسنّة إلا من رحم ربي، فإذا رأيتم هذا الاختلاف فماذا نصنع يا رسول الله؟ «فعليكم بسنّتي»؛ أي: بطريقتي؛ أي: بمنهجي؛ أي: بسبيلي «وسنّة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور».

فالواجب على المسلم الذي أراد أن يتقي الله ﷿ أن يتمسك بسنّة رسول الله؛ أي: بطريقة رسول الله؛ أي: بمنهجه، والذي يحاول أن يحيد يميناً أو شمالاً عن سنّة رسول الله ﷺ فإن رسول ﷺ يقول له: «**فمن رغب عن سنّتي فليس مني**»(١).

ويبيّن الرسول ﷺ أن الفرقة الناجية هي التي تكون على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعون فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**. قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: **الجماعة**»(٢)، وفي رواية أخرى: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٣).

أمة الإسلام! اربطوا بين هذا وذاك، من هي يا رسول الله الفرقة الناجية؟ هي التي تكون على «**ما أنا عليه وأصحابي**».

ويقول ﷺ في وصيته التي نحن معها: «**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**».

- والله ﷿ يحذِّر الذين يسلكون منهجاً غير منهج رسول الله.
- والله ﷿ يحذّر الذين يسلكون طريقاً غير طريق رسول الله.
- والله ﷿ يحذّر الذين يسلكون سبيلاً غير سبيل رسول الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٧٦)، م: (١٤٠١).
(٢) **صحيح**: هـ: (٣٩٩٢)، [«س.ص» (١٤٩٢)].
(٣) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (٢١٨/١)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

فمن أراد أن يتزود بالتقوى فعليه أن يسلك هذا السبيل، وأن يتمسك بسنّة رسول الله ﷺ. فرسولنا الكريم ﷺ خط يوماً أمام أصحابه خطاً، ثم قال: «**هذا سبيل الله**» ـ وهو الصراط المستقيم ـ ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ:** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]»(١).

عباد الله! فعليكم بهذا السبيل الطويل الشاق، ولكن لا يسلكه إلا الرجال، ولا يصل عليه إلا الرجال، وإياكم من هذه السبل القصيرة؛ فقد قال ﷺ: «**على كل سبيل منها شيطان**»، سواء كان من شياطين الإنس أو من شياطين الجن، يأتي هذا الشيطان ويقول لأصحابه: هذا سبيل به نصل إلى إقامة دولة الإسلام فيأخذون ويسلكون هذا السبيل القصير، ويتركون هذا السبيل الطويل وتمر الأيام والسنة تلو السنة ولا يقيمون دولة الإسلام نقول لهم: لو مكثتم مئات السنين على هذا ما أقمتم دولة الإسلام.

علَّمنا الإسلامُ أنَّ منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ليس هو نزع الحكم من شخص واعطاءَه لآخر، وإنما هو إخراج العباد مِنْ عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، فإنْ هم عبدوا الله مخلصين له الدين نصرهم الله على أعدائهم، ومكّن لهم في الأرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١]، فاحذروا هذه السبل، واحذروا شياطين الإنس والجن، فمن أراد ـ يا عباد الله ـ أن يتزود بزاد التقوى فليسلك هذا المنهج، وهذا

---

(١) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، [«الموسوعة الحديثة»].

السبيل الطويل الذي سلكه رسول الله ﷺ وأصحابه، وإياك إياك والبدع كما حذر رسول الله ﷺ في وصيته التي معنا: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**». فالرسول ﷺ يحذرنا من البدع، أتدرون لِمَ يا عباد الله؟ لأن مع البدع الضلال، وأن من ابتدع ضلّ كما سمعتم فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، فالمبتدع ضال ومضل. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (ولو تركتم سنّة نبيكم لضللتم)[1]؛ أي: لو تركتم سنّة نبيكم بابتداعكم في الدين لضللتم بهذا الابتداع.

- فيحذرنا ﷺ من البدعة لأنها سبب للضلال.
- ويحذرنا ﷺ من البدعة لأنها سبب لدخول النار.

«فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»؛ أي: وصاحبُها في النار، نعم، فيوم القيامة يؤخذ برجال من أُمته ﷺ ذات الشمال فيقول الرسول ﷺ: «**يا رب أصحابي**»، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2] فهم ابتدعوا، وغيَّروا في الدين، وكما نرى في كل يوم تظهر جماعة ويظهر شخص يدعو إلى دين جديد، ما جاء في الكتاب ولا في السنّة، إنما هم أعداء الإسلام يدخلون في الإسلام ليقضوا على الإسلام وعلى أهل الإسلام، فكونوا من البدع وأهلها على حذر.

- يحذرنا ﷺ من البدع لأَنَّ الأعمال المبتدعة لا تقبل عند الله.

يقول ﷺ «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[3].

ويقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

- يحذرنا ﷺ من البدعة لأنها تسوِّد الوجه، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٤). (٢) **صحيح**: خ: (٤٤٦٣).

(٣) **صحيح**: خ: (٢٥٥٠)، م: (١٧١٨).

يقول ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنّة، وتسود وجوه أهل البدعة)[١]؛ لأنهم كذبوا على الله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

• يحذرنا ﷺ من البدعة لأن المبتدع يحمل إثمه وإثم من سلك منهجه وعمل ببدعته إلى يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت: ١٣].

عباد الله! «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً..».

رُبَّ سائل يسأل ما هي البدعة؟ وكيف نعرفها؟ وكيف نعرف أهلها؟ لنتجنب البدع ونبتعد عن أهل البدع.

البدعة في اللغة: هي الشيء المخترع المحدث الجديد الذي لم يُسْبَق له مثيل.

البدعة في الدنيا: منها حسنٌ ومنها قبيح.

البدعة في الدين: هي كل عبادة لم يفعلها رسول الله ﷺ وأصحابه، وليس عليها دليل من الكتاب والسنّة، والبدعة في الدين كلها ضلالة، وليس في الدين بدعة حسنة لقوله ﷺ: «**وكل بدعة ضلالة**»، والكل في اللغة تفيد العموم، فليس في الدين بدعة حسنة، بل كل بدعة ضلالة، والمبتدع في الدين ضال ومضل.

يقول الامام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)[٢]. الذين يدجِّلون على الناس ويقولون نعم هذه بدعة، ولكنها بدعة حسنة!!. انتقل الرسول ﷺ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٥)، تفسير القرطبي (٤/ ١٦٢)، فتح القدير (١/ ٥٥٩).

(٢) انظر: كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي (١/ ٣٣).

إلى ربه بعد أن كمَّل لنا الدين وتمت النعمة ورضيها لنا ربنا، بلا زيادة ولا نقصان، فمن زاد في الدين فقد ابتدع، ومن نقص من الدين فقد ابتدع، والشيطان يرضى منكم الزيادة أو النقصان. يقول عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: (يا أيها الناس إن الله لم يبعث بعد نبيِّكم نبيّاً ولم ينزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتاباً فما أحل الله على لسان نبيّه فهو حلال إلى يوم القيامة وما حرّم على لسان نبيّه فهو حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بقاضٍ ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملاً، ألا وأنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله...)[1]. فاتبعوا عباد الله ولا تبتدعوا، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[2]، اتقوا الله وتمسكوا بسنّة رسول الله، واحذروا البدع، فربنا عَزَّ وَجَلَّ لم يطلب منا أن نقبِّل القرآن، ولم يطلب منا أن نحتفل بمولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! ولم يطلب ولم يرض منا أن نغني ونطبل ونرقص ونأكل الحلوى يوم مولد رسول الله! لكن يريد منا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن نحجب نساءنا طاعة له سبحانه، يريد منا أن نتشبه بالصالحين، يريد منا أن نخالف الكفار ونكرههم، يريد منا أن لا نوالي الكفار. فيا أمة الإسلام: نحتفل بمولد رسول الله ونتشبه بالكفار! هذا لعمري في القياس شنيع.

أمة الإسلام! إلى متى نبقى على ما نحن عليه؟ إلى متى نبقى في نومنا العميق؟ متى نستيقظ؟ تزودوا بالتقوى وتمسكوا بسنّة رسول الله؛ توحيد لله في العبادة، وتوحيد لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الاتباع، وتوحيد للصحابة في سلوك منهجهم، فمن أراد أن ينجو فعليه بذلك.

فيا أخا الإسلام! إذا أردت أن تعرف البدعة فأعرضها على الكتاب والسنّة وعلى منهج أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا لم ترَ عليها دليلاً من

---

(١) **إسناده جيد**: مي: (٤٣٣)، [«سنن الدارمي» تحقيق: حسين سليم أسد].

(٢) **صحيح**: مي: (٢٠٥)، طب: (٩/ ١٥٤) [«مجمع الزوائد» (١/ ٤٣٤)].

الكتاب ولم تر عليها دليلاً من السنّة، وعلمت أن الصحابة ما فعلوها فهي بدعة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

أما أصحاب البدع فكيف نعرفهم؟ نعرفهم بسيماهم؛ غضب الله على وجوههم، فإذا رأيت الذل يرفرف على رؤوسهم، ورأيت الجهل يرفرف عليهم، الجدال والمراء غايتهم. يكفِّرون المسلمين، وعلماء المسلمين يدعون إلى الحزبية والحمية المنتنة. وهذا الرجل الصالح يقول: من احترم صاحب بدعة ووقره فقد أعان على هدم الإسلام، وهل هدَمَ الإسلام وأَضاع أراضي المسلمين وجعلنا نصل إلى ما وصلنا إليه إلا أمثال هؤلاء المبتدعة؟!.

نسأل الله أن يخلِّص المسلمين من أمثال هؤلاء
اللّهم كن عليهم، ونجنا يا ربنا من البدع ومن أهلها
اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





الوصية الثانية (أ) «احفظ الله يحفظك»

عباد الله! قلنا في الجمع الماضية: إن من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ في كل مكان أن يقبلوا وصاياه، وفي الجمعة الماضية عشنا وإياكم مع الوصية الأولى لرسول الله ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم مع الوصية الثانية من وصايا المصطفى ﷺ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام!، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وجفت الصحف**»[1].

وفي رواية أخرى: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطِئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[2].

أمة الإسلام! هذا الكلام واللهِ لا يخرج إلا من نبي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

(٢) **صحيح**: ك: (٣/ ٦٢٤)، طب: (١١/ ١٢٣)، هب: (٧/ ٢٠٣) مع زيادة في ألفاظ الحديث، [«كتاب إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم»، تحقيق: الشيخ سليم الهلالي حفظه الله].

وصية عظيمة من عَمِلَ بها سِعد واللهِ في الدنيا والآخرة، إنها تبيّن لنا أن الجزاء من جنس العمل، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟.

«**احفظ الله يحفظك**»: وصية عظيمة تبيّن لنا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون. فرسولنا العظيم ﷺ في هذه الوصية يربي أمته على العقيدة الصحيحة على جميع المستويات، فيقول له: «**يا غلام**»، ويعلمه: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، يربط قلوب العباد، برب العباد وصية عظيمة. فتعالوا بنا نعيش مع الجزء الأول منها في هذا اليوم، «**احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله تجده تجاهك**» ما معنى احفظ الله؟ أي: احفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه، ومعنى احفظ حدوده: أي أن الله ﷻ حد حدوداً للعباد وقال لهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال لهم: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]. وحذر العباد أن يتعدوا حدوده سبحانه وتعالى فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. ومعنى احفظ حقوقه: أي أن لله حق على العباد أتدري ما هو يا عبد الله؟ أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً.

وحفظ الأوامر: يكون بامتثالها، إذا أمرك الله ﷻ فعليك أن تقول: سمعنا وأطعنا، وحفظ النواهي: يكون باجتنابها فإذا نهاك الله ﷻ فعليك أنْ تقول: سمعنا وأطعنا.

أمة الإسلام! ومن الأمور التي أمرنا الله ﷻ بحفظها على ـ سبيل المثال «الصلاة»، فقال ـ تعالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون: ٩].

- ومن الأمور التي أمرنا الله بحفظها «الأَيمان»، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].
- ومن الأمور التي أمرنا الله بحفظها «الفرج»، فقال ـ تعالى ـ:

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه** ـ أي: لسانه ـ **وما بين رجليه** ـ أي: فرجَه ـ **أضمن له الجنة**»(١).

● ومن الأمور التي أمر الله بحفظها: «**الرأس وما وعى، والبطن وما حوى**».

يقول ﷺ: «**استحيوا من الله تعالى حقَّ الحياء، من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبِلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(٢).

فمن حفظ حدود الله، وحفظ حقوق الله، وحفظ أوامر الله وحفظ نواهي الله؛ حفظه الله، فالجزاء من جنس العمل. كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، فتعالوا بنا عباد الله لنرى كيف يحفظ الله عباده الذين حفظوه وبالمثال يتضح البيان:

● فهذا يوسف عليه السلام دخل السجن مظلوماً، فحفظه الله في سجنه، وأخرجه من السجن سالماً غانماً، وجعله حفيظاً على خزائن الأرض في بلاد مصر، لِمَ حفظ اللهُ يوسفَ ﷺ؟ لأن يوسف حفظ الله عندما كان في بيت امرأة العزيز حين غلَّقت الأبواب وقالت: هيت لك؛ أي: دعته إلى الفاحشة فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال يوسف: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

(٢) **حسن**: ت: (٢٤٥٨)، حم: (١/ ٣٨٧)، ك: (٤/ ٣٥٩)، طب: (١٠/ ١٥٢)، بز: (٥/ ٣٩١)، هب: (٦/ ١٤١)، [«ص.ج» (٩٣٥)].

[يوسف: ٣٣]، وكذلك لما دخل يوسف السجن حفظ الله في السجن، أتدرون بماذا يا عباد الله؟ لقد دعا المساجين الذين معه إلى عقيدة التوحيد فقال لهم: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠]، حفظ الله قبل دخوله السجن، وحفظ الله في داخل السجن؛ فحفظه الله وأخرجه من السجن، حفيظاً على خزائن الأرض.

• وهذا يونس عليه السلام سُجِن في بطن الحوت، في سجنٍ بعيدٍ غريب لم يسجن فيه أحد، وحفظ الله يُونسَ في بطن الحوت وأخرجه من هذا السجن سالماً غانماً، لماذا حفظ الله يونس في هذا السجن؟ لأنه عليه السلام كان يحفظ الله في رخائه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. وعندما دخل يونس هذا السجن البعيد لم ينسِ ربه بل دعا الله ـ عز وجل ـ في هذا السجن فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

• وهذا إبراهيم عليه السلام أُلقي مقيداً في النار التي أججها له الكفار، ومع ذلك حفظه الله في هذه المحنة العظيمة من النار.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، أتدرون لم حفظ الله إبراهيم في النار؟ لأنه كان أمةً يدعو إلى التوحيد كما قال تعالى عنه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

كان يدعو إلى التوحيد، ولقد تبرأ من أبيه وقومه لأنهم أبوا أن يسلكوا طريق الهدى، ولما ألقي في النار: ما توكل إلا على الله، فقال إبراهيم حين أُلقي في النار: «**حسبنا الله ونعم الوكيل وقالها محمد** ﷺ **حين قالوا:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾»[١] [آل عمران: ١٧٣]، لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

• وهؤلاء (الثلاثة الذين حُبِسُوا في الغار، فلما دخلوا الغار انحدرت صخرة فسدت الغار، وأيقنوا الهلاك والموت، ولكنْ حفظهم الله في هذا المكان البعيد الذي لم يعلم به أحد؛ لأنهم كانوا يحفظون الله بإخلاصهم في العمل، فهذا الأول يتوسل إلى الله ببره لوالديه، وهذا الثاني يتوسل إلى الله بإخلاصه في تركه للزنا، وهذا الثالث يتوسل إلى الله بإخلاصه في حفظ الأمانات وردها إلى أهلها، فحفظهم الله وأخرجهم من الغار)[٢]، فإن تحفظوا الله ﷻ يحفظكم، كما قال ﷺ في وصيته: «**احفظ الله يحفظك**»، فاحفظ الله بعقيدة التوحيد يحفظك الله ﷻ في كل مكان: في الشدة والرخاء، وفي السراء والضراء، وفي الحياة الدنيا والآخرة.

«**اللّهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً**»[٣].

يقول ﷺ في وصيته: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، واحفظ الله تجده أمامك**».

أي: من حفظ الله ﷻ، وحفظ حدوده، وحقوقه، وأوامره، ونواهيه كان الله ﷻ معه في جميع الأحوال بحفظه ورعايته ونصره وتوفيقه، كما

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٢١٥٢) وانظر الخبر بتمامه فيه.
(٣) **حسن**: حب: (٩٣٤)، ك: (١/٧٠٦)، [«ص.ج» (١٢٦٠)].

قال بعض الصالحين: «**من يتق الله يكن الله معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل**»[١].

«احفظ الله تجده تجاهك، احفظ الله تجده أمامك» .الله ﷻ مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين، وهو غني عن العرش وما دون العرش، ومع ذلك فهو مع عباده المؤمنين المخلصين الذين عبدوه ووحَّدوه وحفظوه، فهو معهم بحفظه، وبرعايته؛ يرعاهم وينصرهم أينما كانوا وأينما وجدوا فمن الذي حفظ أولئك الثلاثة في الغار؟ ومن الذي حفظ يونس في بطن الحوت؟ ومن الذي حفظ إبراهيم من النار؟ ومن الذي حفظ يوسف في السجن؟ إنه هو الله، حفظوا الله فحفظهم. فالله ﷻ مع المؤمنين، معية خاصة بالنصر والتوفيق والسداد كما قال ـ تعالى ـ لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، فهو معهم بالتوفيق والسداد والحفظ.

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، معية خاصة للذين حفظوا الله وعبدوه، للمؤمنين المخلصين فهو معهم بحفظه ورعايته، أما المعية العامة التي يكون الله بها مع كل الناس فهي معية السمع والمراقبة، فهو سبحانه مع الناس بأسمائه وصفاته يراهم ويراقبهم يسمعهم ويعلم سرهم ونجواهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨﴾ [النساء: ١٠٨].

فيا إخوة الإسلام! هذه وصية عظيمة تشفي الصدور.

---

(١) حل: (٢/ ٣٤٠) عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ.

«احفظ الله يحفظك»

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ [الحشر: ١٩] ومع بقية الوصية نعيش في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ إن كان في العمر بقية.

ونسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا

اللّهم علّمنا علماً نافعاً

وارزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن

❁ ❁ ❁

٦٣

الوصية الثانية (ب): «احفظ الله يحفظك»

عباد الله! في الجمعة الماضية بدأنا الحديث عن الوصية الثانية لرسول الله ﷺ والتي يقول فيها: «**احفظ الله يحفظك، احفظك الله تجده تجاهك...**».

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن القسم الأول من هذه الوصية العظيمة الذي قال فيه ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**»، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ تعالى مع القسم الثاني من هذه الوصية العظيمة الذي يقول فيه ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[١].

أمة الإسلام! رسولنا ﷺ يربي أمته على العقيدة الصحيحة، والتوحيد فيقول ﷺ: «**إذا سألت فاسأل الله**»، وذلك لأن الله ﷻ أمرنا بذلك في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

وهنا سؤال مهم وهو:

لماذا يأمر المصطفى ﷺ أمته إذا سألوا أن يسألوا الله وحده؟

الجواب: أولاً: لأن الله ﷻ وحده هو الغني، والخلق كلهم فقراء إلى الله، قال الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]، وقال الله ـ ﷻ ـ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، طب: (١٢/ ٢٣٨)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]، وقال ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «**يا عبادي، لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أدخل البحر**»(١).

فالله ﷻ غني، فهو الذي يُسْأل، والله ﷻ يغضب إن تركت سؤاله كما قال القائل:

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تُحجبُ

الله يغضب إن تركت سؤالَه ... وبُنَيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ

فالذين يدعون الله ﷻ فازوا والله، والذين يدعون غير الله من الأموات وغير ذلك خابوا وخسروا، لِمَ؟ لأنهم أشركوا في سؤالهم غير الله، ولأنهم دعوا فقراء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، فكيف يعطون غيرهم وهم فقراء؟! فإذا سألت فاسأل الله.

ثانياً: الرسول ﷺ يأمر أمته إذا سألوا أن يسألوا الله وحده، أتدرون لِمَ؟ لأن الله وحده هو الذي يسمعك إذا دعوته ويعطيك إذا سألته.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وبالمثال يتضح البيان، هذا زكريا عليه السلام الذي اشتاق إلى الذرية

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).

والولد الصالح دخل يوماً على مريم فوجد عندها رزقاً، ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٧ ـ ٣٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

فيا ٱبن آدم إذا سألت فاسأل الله؛ لأنه هو الذي يسمع، وهو الذي يعطي، فيا من تركضون خلف السحرة والمشعوذين من أجل أن تتحصلوا على الأولاد لِمَ لا تفعلون كما فعل زكريا ﷺ؟.

الألوف من المسلمين يهرولون إلى السحرة والمشعوذين يظنون أنهم يقدرون على أن يعطوا الولد، وأن يعطوا الذرية الصالحة، لا يا أمة الإسلام إنها العقيدة أولاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

عليم بأحوال العباد، قدير على أن يعطي هذا الإناث فقط وقدير على أن يعطي هذا الذكور فقط، وقدير على أن يعطي هذا الذكور والإناث، أو أن يجعل إن شاء هذا عقيماً إنه عليم بأحوال عباده وقدير على أن يعطي الذي أعطاه الإناث ذكوراً، وعلى أن يعطي من أعطاه الذكور إناثاً وعلى أن يعطي العقيم أولاداً كما أعطى زكريا.

عباد الله! وهذا مثالٌ آخر على أن الله وحده هو الذي يسمع، وهو الذي يعطي، هذا موسى عليه السلام في بلد الغربة بعد أن خرج من مصر فاراً من فرعون وملئه، وهو في بلاد مدين، وعند ماء مدين اضطجع في ظل

شجرة وهو فقير غريب في بلاد الغربة يحتاج إلى أمن، ويحتاج إلى عمل، حتى لا يمد يده إلى الناس، ويحتاج إلى زوجة تؤنسه في وحشته في بلاد الغربة فاضطجع في ظل شجرة في مكانٍ اللهُ أعلم به، ثم توجه إلى ربه يسأله؛ لأنه يعلم أن الله يسمع، وأن الله وحده هو الذي يعطي، ماذا قال موسى؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وكأنه يقول: يا رب أنا في حاجة إلى أمن، يا رب أنا في حاجة إلى عمل، يا رب أنا في حاجة إلى زوجة تؤنس وحشتي في غربتي، فما أن انتهى من دعائه إلَّا وقد جاء الفرج من الله: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥]، أمن بعد خوف. ثم بعد ذلك: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦]، عمل مشروع حلال ما الذي أنطق هذه الفتاة فقالت: يا أبت استئجره، إنه هو الله من فوق سبع سموات. فقال الشيخ الكبير: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍۖ﴾ [القصص: ٢٧] زوجة صالحة، أمن، عمل.

عبادَ الله! الذين يدفعون الرِشوة ليتحصلوا على العمل، والذين يقبلون الرِشوة ليوظفوا الناس أما يتقون الله! موسى رفع يديه وقال: يا رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير، فَمَنَّ الله عليه بالأمن، والعمل المشروع، والزوجة الصالحة، لتعلموا أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

ثالثاً: يأمر المصطفى ﷺ أمته إذا سألوا أن يسألوا الله وحده لِمَ؟ لأن الله وحده هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]. وبالمثال يتضح البيان:

● هذا أيوب عليه السلام في شدة المرض يعلم أنه لا يكشف الضر إلا الله، فماذا قال وهو مضطر؟ هل ركض إلى المشعوذين والسحرة؟ لا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

● وهذا يوسف عليه السلام وهو في بيت امرأة العزيز أحاطت به النسوة يطلبن منه الفاحشة.

قال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤].

● وهؤلاء الثلاثة الذين دخلوا الغار مَن الذي أمر الصخرة أن تتحرك لتسد الغار؟ إنه الله، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، ودعوا الله وحده وسألوه في مكان لا يسمعهم فيه أحد إلا الله فتحركت الصخرة، من الذي حركها؟ إنه هو الله، وخرجوا من الغار يمشون وأنقذهم الله من الموت المحقق.

لكن يا ابن آدم احذر من الأسباب التي تحرمك من الإجابة، فكثير من الناس يسألون الله ويحرمون الإجابة فهل تدرون ما هو السبب؟

أولاً: أكل الحرام، لبس الحرام، شرب الحرام، التغذية على الحرام فالذي يربي أولاده على الربا وعلى الرشوة، والذي يربي أولاده على الحَرام والذي يلبس ثيابه من الحرام، والذي يملأُ بطنه وبطن أولاده من الحرام ثم يرفع يديه يقول: يا رب! فأنَّى يستجاب لذلك.

يقول ﷺ: «**إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وقال**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن

طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] **ثم ذكر الرجل يطيل السفر: أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟»**[1].

السبب الثاني: ـ الذي يحرمك من الإجابة ـ أن تجعل بينك وبين الله واسطة، كأن تقول: يا رب أسألك بحق فلان، أسألك بجاه فلان، أدخل عليك يا رب بسيدي فلان، فهذا شرك وضلال؛ لأن المصطفى ﷺ يربينا على التوحيد قائلاً: «**إذا سألت فاسأل الله**»، ما قال له: يا ابن عباس، إذا سألت الله فاسأله بجاه فلان أو فلان أو بحق فلان. والله ﷻ يقول: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [النساء: ٣٢]، ويقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، فإذا سألت فاسأل الله، وإياك إياك أن تجعل بينك وبين الله واسطة.

السبب الثالث: المعاصي تحول بينك وبين الإجابة.

المعاصي تحرمك الرزق، فكم من إنسان كان في نعمة ثم حُرِم هذه النعمة بسبب المعاصي.

ابن آدم

إذا كنت في نعمة فارعها	فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله	فإن الإله شديد النقم

عباد الله! يقول ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**».

فمن استعان بالله فهو المعان، ومن استعان بغير الله خذله الله، فالإنسان منا محتاج إلى الاستعانة بالله على العبادة ـ مثلاً ـ، ولذلك علّمنا ربنا ـ جلّ وعلا ـ أن نقول في كل ركعة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [الفاتحة: ٥]؛

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).

أي: نعبدك يا الله وحدك ونستعين بك يا الله وحدك على عبادتك. فوالله لولا فضل الله علينا ما صمنا ولا صلينا، فإذا أعانك الله على الصلاة والصيام، وطلب العلم، وحفظ القرآن، وبر الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاعلم بأن الفضل لله ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] على عبادتك، والإنسان في حاجة إلى أن يستعين بالله ـ في هذه الدنيا ـ على الفتن والشدائد والبلاء والمحن التي تصب فوق الرؤوس، فإذا استعنا بالله أعاننا، وإذا استعنا بغير الله خذلنا. وبالمثال يتضح البيان، وانظروا يا عباد الله كيف تكون الاستعانة بالله.

• هذا يعقوب عليه السلام كان يحب يوسف حباً كبيراً ثم كان ما كان من إخوة يوسف، فلما رجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون، وأخبروه الخبر ـ بأن يوسف أكله الذئب ـ فما كان من يعقوب عليه السلام عندما سمع الخبر الشديد الأليم إلا أن قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

فاستعان بالله على هذا الخبر، وهو خبر أليم على قلب الوالد، ـ ومن كان له أولاد يعلم أن ذلك من أصعب ما يكون ـ استعان بالله فأعانه الله فصبر على هذه المصيبة فرد الله يوسف إليه.

مثال آخر:

• هذه عائشة أم المؤمنين الطاهرة المطهرة البريئة قال المنافقون عنها ما قالوا، وتكلموا في حقها واتهموها بفاحشة الزنا قاتلهم الله أنى يؤفكون، وانتشر الخبر في كل مكان ـ كما هو دأب المنافقين دائماً يكتمون الحسنة وينشرون السيئة ـ حتى وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ، ووصل الخبر إلى عائشة فذهبت إلى والديها وجلست عندهم ودخل عليها ﷺ وقال لها: «**يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه**» ـ وهي تبكي بكاءً شديداً، ماذا تقول وهي تعلم أنها بريئة؟ ـ فقالت: يا أبي أجب رسول الله، فقال أبو بكر:

والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ﷺ، فقالت عائشة: يا أمي أجيبي رسول الله، ـ أي: قولي له: إنني بريئة ـ فقالت أمها: لا أدري ماذا أقول لرسول الله، فماذا قالت عائشة؟ قالت لهم: أقول لكم إني بريئة فوالله لا تصدقونني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف، إذ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾»(١)، فاستعانت بالله على هذه الشدة فأعانها الله، وبرأها من فوق سبع سمٰوات.

• وهذا موسى عليه السلام عندما جاءه الخبر بأن فرعون قرر أن يقتل موسى ومن معه فماذا قال موسى لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ابن آدم! إذا ابتليت بمثل هذا البلاء، وقال قائل فيك ما أنت منه بريء، وكذب عليك، واجتمعوا على أن يخرجوك أو يقتلوك، فاستعن بالله وقل: فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

اللّهم لك الحمد وإليك وحدك المشتكى، وأنت المستعان
وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك
اللّهم احفظنا، اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه



(١) **صحيح**: خ: (٢٥١٨)، م: (٢٧٧٠) وانظر الخبر فيهما بتمامه.

٦٤

الوصية الثانية (جـ): «احفظ الله يحفظك»

عباد الله! قال ﷺ في وصيته الجامعة لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك...**».

ولقد تكلمنا عن القسم الأول من هذه الوصية العظيمة والذي قال فيه ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**».

وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن القسم الثاني من هذه الوصية العظيمة والذي يقول فيه ﷺ: «**وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، وموعدنا ـ يا عباد الله ـ في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع القسم الثالث والأخير من هذه الوصية العظيمة والذي يقول فيه ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1]، وفي رواية أخرى: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»[2].

عباد الله! رسولنا الكريم ﷺ يربي أمته على العقيدة الصحيحة، ويربط قلوب العباد برب العباد، يخبرهم ﷺ أن النافع والضار هو الله، ويعلمهم أن المعطي والمانع هو الله، والله ﷻ قد أخبرنا بذلك في كتابه، وعلمنا أنه سبحانه هو الضار، وهو النافع وهو المعطي وهو المانع.

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٧٩٥٧)] تقدم تخريجه.

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه ص٤٩.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

عباد الله! إذا علم الإنسان واعتقد أن النافع هو الله، وأن الضار هو الله، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه أو يضروه بشيء لا يقدرون على ذلك إلا بأمر من الله، إذا اعتقد العبد ذلك دفعه هذا الاعتقاد إلى أن يتوكل على الله وحده، ودفعه هذا الاعتقاد إلى أن يخاف من الله وحده؛ لأنه هو النافع وهو الضار.

- وبالمثال يتضح البيان.

- فهذا نوح عليه السلام يتوكل على الله وحده ويتحدى قومه فيقول لهم: قال تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس: ٧١].

- وهذا هود عليه السلام يتوكل على الله وحده ويتحدى قومه فيقول لهم: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤ ـ ٥٦].

إذا اعتقد الإنسان أن الأمة لا تنفعه ولا تضره عَمَل ليلاً ونهاراً على رضى الله حتى وإنْ سَخِطَ الناس.

يقول ﷺ: «**من أرضى الناس بسخط الله وكَلَّهُ الله إلى الناس، ومن**

أسخط الناس برضا الله كفاه الله مُؤْنَةَ الناس»[١].

عباد الله! ثم يقول ﷺ في وصيته الجامعة التي معنا: «**رفعت الأقلام، وجفت الصحف**».

وهذا دليل على أن الله ﷻ قدَّر كل شيء، وكتب عنده كل شيء قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

قال ﷺ: «**كتب الله ﷻ مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[٢].

وقال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، من مات على غير هذا فليس مني**»[٣].

والله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه قدَّر كل شيء قبل خلق السموات والأرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

إذا علم العبد واعتقد أن ما أصابه في هذه الدنيا بقضاء الله وقدره رضِيَ بقضاء الله وقدره، ولذلك فإن المؤمن في هذه الدنيا تراه دائماً سعيداً مطمئناً، إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له، وعن ذلك أخبرنا المصطفى ﷺ فقال: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كُلَّهُ له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له**»[٤] لِمَ؟؛ لأنه يعلم أن ما أصابه إنما هو من عند الله.

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٤١٤)، حل: (٨/ ١٨٨)، [«ص.ج» (٦٠١٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٦٥٣).
(٣) **صحيح**: د: (٤٧٠٠)، هق: (١٠/ ٢٠٤)، حل: (٥/ ٢٤٨)، [«ص.ج» (٢٠١٨)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

ويقول ﷺ: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**»، فعلى العبد أن يعلم أن ما أصابه في هذه الدنيا من سرّاء أو ضرّاء إنما هو من عند الله، واعلم يا عبد الله أَنه إذا أصابتك السرّاء في هذه الدنيا فهي من فضل الله، وإذا أصابتك الضرّاء والمصائب في هذه الدنيا فاعلم أنها من نفسك وبسبب معاصيك كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩].

وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، فاعلم يا أخا الإسلام أن كل شيء قد قدَّره الله ﷻ. ثم يقول رسول الله ﷺ في وصيته الجامعة التي نحن في صدد الحديث عنها. «**تعرَّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة**». رسولنا ﷺ يأمر أمته أن يتعرفوا على الله في الرخاء، في النعمة، في المال، في الصحة، في الحياة، ويكون التعرف على الله في الرخاء؛ بالدعاء، بالعبادة، بحفظ الأوامر والنواهي، بحفظ الحقوق، وعدم تعدي حدود الله، تعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في الشدة بأن يستجيب ﷻ لكم فيكشف ما نزل بكم من الشدة؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

لكن تعالوا معي يا عباد الله وانظروا إلى كثير من الناس ـ إلا من رحم ربي ـ في هذه الحياة فسترون أنهم يعرفون الله فقط في الشدة ولا يعرفون الله في الرخاء. واللهِ إن كثيراً من الناس لا يعرفون الله ﷻ، ولا يدعون الله ﷻ، ولا يُصلّون لله، ولا يستغيثون بالله، ولا يسألون الله إلا إذا وقعوا في الشدة. أما إذا زالت عنهم الشدة فإنك تراهم وقد نسوا الله ﷻ كما أخبرنا الله ﷻ عن هذا الصنف من بني آدم فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾ [يونس: ١٢].

قتل الإنسان ما أكفره! كم من الناس نزلت به مصيبة فدعا الله وتعرف على الله فلما زالت عنه نسي الله؟!

كم من الناس إذا أُدخل غرفة الإنعاش تعرَّف على الله، فإذا خرج نسي الله؟! كم من الناس إذا أصابه فقر وشدةٍ تعرَّف على الله فإذا كثر ماله نسي الله؟!

قال ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

كان الكفار إذا ركبوا الفلك، ونزلت بهم شدة، وأيقنوا الهلاك والغرق دعوا الله مخلصين له الدين. وهناك ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم من إذا نزلت بهم شدة واللهِ لا يسألون الله، ولكن يسألون الأولياء والصالحين، فتراهم إذا نزلت بهم الشدة يقولون: يا سيدي فلان!! وهذا ضلال مبين! الكفار في الشدة يعرفون ربهم، وأنتم يا من تدعون الإسلام إذا وقعتم في شدة تسألون غير الله وتستغيثون بغيره!!

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤]. المؤمن يا عباد الله عرف ربه في الرخاء فعرفه الله ﷻ في الشدة. وبالمثال يتضح البيان:

- هذا يونس عليه السلام كان يسبِّح الله ويعبده في الرخاء، فلما وقع في شدة فسجن في بطن الحوت دعا الله ﷻ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

لم يا ربنا نجيّت يونس من الغم؟ ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]. فالذي نجّاه من هذا الغم أنه كان يعرف الله في الرخاء فعرفه الله في الشدة.

• والثلاثة الذين دخلوا الغار وهم في هذه الشدة دعوا الله ـ ﷻ ـ، وتوسلوا بصالح أعمالهم التي عملوها في الرخاء فنجاهم الله من هذه الشدة.

أما الذي لا يعرف ربه في الرخاء، والذي لا يعرف ربه في الغنى، والذي لا يعرف ربه في الجاه والسلطان، والذي لا يعرف ربه في الصحة، والذي لا يعرف ربه في حياته فلا يعرفه الله ﷻ وبالمثال يتضح البيان:

• هذا فرعون عليه لعنة الله إلى يوم القيامة كان في رخائه وسرَّائه يقول للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ويقول لهم: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨].

فلما وقع في الشدة، ودعا الله ـ ﷻ ـ وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، قال الله ﷻ له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

فتعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

واعلم ـ يا عبد الله ـ أن اليوم صحة وغداً مرض، واعلم ـ يا عبد الله ـ أن اليوم غنى وغداً فقر، واعلم ـ يا عبد الله ـ أن اليوم حياة وغداً موت، جاء رجل لأبي الدرداء رضي الله عنه فقال له: أوصني، فقال له: أبو الدرداء: (اذكر الله في السرّاء يذكرك في الضرّاء)[1]، وقال

---

(١) حل: (١/ ٢٠٩).

سلمان الفارسي: (إذا كان العبد يذكر الله في السرّاء ويحمده في الرخاء، فأصابه ضرٌّ فدعا الله قالت الملائكة: صوت معروف من امرئ ضعيف فيشفعون له وإن كان العبد لا يذكر الله في السرّاء ولا يحمده في الرخاء، فأصابه ضرّ فدعا الله قالت الملائكة: صوت منكر فلم يشفعوا له)[١].

يقول ﷺ في وصيته العظيمة: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

أمة الإسلام! اسمعوا وعوا، رسولنا ﷺ يربي أمته ويعلمهم أن مع الصبر يكون النصر، وأن مع الكرب يكون الفرج، وأن مع العسر يكون اليسر، والله ﷻ أخبرنا في كتابه أن النصر دائماً يكون مع الصبر، ولا يكون أبداً قبل الصبر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

وكذلك يأمر ربنا ـ جل وعلا ـ رسوله بالصبر وعدم الاستعجال فيقول ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ورسولنا ﷺ يربي أمته على الصبر وعدم الاستعجال.

فيقول ﷺ لخباب بن الأرت: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل**

---

(١) ش: (٧/ ١٢١)، هب: (٢/ ٥١).

فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(١).

وسأبقى أقول: إياكم والاستعجال، وسأبقى أحذر من الاستعجال؛ لأن الاستعجال جلب على الأمة وبالاً لا يخفى على العاقل، ونقول: يا دعاة الاستعجال، اتقوا الله في أمة الإسلام، يا دعاة الاستعجال، أنتم لستم أحسن من رسول الله، الله يأمره بالصبر ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

إخوة الإسلام! والله إني لكم لناصح أمين فإياكم، إياكم من دعاة الاستعجال، واحذروا يا عباد الله من دعاة العاطفة والهمجية، إنهم يريدونها فتنة تأكل الأخضر واليابس، وعليكم أن تضبطوا العاطفة بـ (قال الله) و(قال رسول الله)، وبمنهج الصحابة رضوان الله عليهم.

نحن في زمان عجيب، فاصبروا وصابروا، ورابطوا لعلكم تفلحون. وإذا جلس أحدكم مع إنسان يريد أن يستعجل في شيء من أمور الدين بأي مظهر من المظاهر التي نعايشها ونراها فالإسلام منها بريء: ـ من قتل، أو تدمير، أو تفجير، أو مظاهرات، أو إضراب عن الطعام، كل ذلك الإسلام منه بريء ـ فانصحوهم وإلى الذين يفعلون ذلك نقول لهم تعالوا لنتحاور بـ (قال الله) و(قال الرسول)، فإنْ لم يستجيبوا لذلك قلنا لهم: مِنْ أين تتلقون الأوامر؟ وما دليلكم على ما تفعلون؟

عباد الله! نحن نختلف معهم لأنهم يكفِّرون الناس، ويكفِّرون المجتمع؛ فاستحلوا بذلك دماءَهم وأموالهم، وهذه فتنة ابتدعها الخوارج

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

من قديم الزمان، فبشرهم الرسول ﷺ بنار جهنم؛ لأن الخوارج فرقة ضالة مرقت من ملة الإسلام، ونحن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله، ومن قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما.

نسأل الله أن يرزقنا الصبر على طاعته
والصبر عن معصيته
والصبر على الابتلاءات والمحن



٦٥

الوصية الثالثة: «قل آمنت باللهِ ثم استقم»

عباد الله! في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن الوصية الثانية لرسول الله ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة من وصايا المصطفى ﷺ.

عباد الله! «**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال ﷺ: قل: آمنت بالله، ثم استقم**»[(١)].

وفي رواية أخرى: يا رسول الله، حدثني بأمرٍ أعتصم به، فقال له ﷺ: «**قل: ربي الله، ثم استقم**»، فقال الرجل: ما أخوف ما تخاف علي يا رسول الله؟ فأخذ ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: «**هذا**»[(٢)].

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم، من ناصح أمين لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، أخذ هذه الوصية من قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾ [فصلت: ٣٠].

عباد الله! يأمر رسول الله ﷺ أمته بالإيمان الصادق، وبالاستقامة على هذا الإيمان، ذلك لأن هناك من الناس من يدعي الإيمان وما هم بمؤمنين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ

---

(١) **صحيح**: م: (٣٨).

(٢) **حسن صحيح**: هـ: (٣٩٧٢)، حم: (٣/ ٤١٣)، حب: (٥٦٩٩)، طب: (٧/ ٦٩)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٦٢)].

وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

● ولأن هناك فريق آخر من الناس يَدَّعون الإيمان ثم يكفرون بعد ذلك، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ١٣٧].

● ولأن هناك فريق ثالث من الناس يدَّعون الإيمان ثم يروغون روغان الثعالب فلا يستقيمون على إيمانهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

من أجل ذلك يا أمة الإسلام أمر رسول الله ﷺ أمته بالإيمان الصادق، وبالاستقامة على هذا الإيمان حتى الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

وهذا الإيمان الصادق الذي يأمر به المصطفى ﷺ هو: اعتقاد في القلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

هذا الإيمان يدفع صاحبه إلى الاستقامة على الأعمال الصالحة، والاستقامة على الأعمال الصالحة تزيد من الإيمان، من أجل ذلك ربط ﷺ بين الإيمان والاستقامة فقال: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**».

عباد الله! **وهنا سؤال مهم، لماذا أمر ﷺ بالإيمان الصادق في قوله:**

«**قل: آمنت بالله ثم استقم**»؟ والله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]؛ لأن سعادة الدنيا والآخرة تتوقف على الإيمان الصادق.

فمن أراد سعادة الدنيا والآخرة، فعليه بالإيمان الصادق، والاستقامة عليه حتى الموت، وذلك لنتحصل على الفوائد التالية:

أولاً: بالإيمان الصادق ننتصر على أعدائنا كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

أمة الإسلام! الكثيرمن الناس في هذا الزمان يقولون: لقد وعدنا الله بالنصر على أعدائنا، فما هذا الذي نحن فيه من الذل؟ والجواب على هذا معلوم يا عباد الله، الله وعد بالنصر لمن يا أمة الإسلام؟ وكان حقاً علينا نصر.... من يا أمة الإسلام؟ نصر أكلة الربا، نصر المنافقين، نصر الذين سمحوا لنسائهم بالتبرج، نصر الذين تركوا الصلاة؟ نصر الذين ضيعوا حكم الله؟ لا، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، فأين المؤمنون حقاً يا عباد الله؟ فبالإيمان الصادق وحده ننتصر على أعدائنا وإلا فهذا تضييع للوقت، وهذا تضييع للجهد، وهذا تضييعٌ للشباب، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

ثانياً: بالإيمان الصادق يتولى ربنا ـ جل وعلا ـ الدفاع عنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨].

ثالثاً: بالإيمان الصادق يتولى ربنا أمرنا، وإذا تولى ربنا أمرنا أخرجنا من الظلمات إلى النور، وأي ظلمة بعد الذي نحن فيه من المعاصي والآثام؟!!

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١].

فالله مولانا بالإيمان الصادق، أما أن نروغ روغان الثعالب، وندعي الإيمان ونحن لا نستقيم على هذا الإيمان، فهذا تضييع للوقت، وهذا تضييع للجهد يا دعاة الاستعجال.

رابعاً: بالإيمان الصادق يؤلف ربنا بين قلوبنا، وانظروا إلى الخلافات وإلى الفرقة بين المسلمين التي حدثت بسبب ضعف الإيمان، وبسبب العقيدة الفاسدة! فالله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. فبالإيمان نتحصل على الأخوة، وبالعقيدة الفاسدة تكون الفرقة، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

خامساً: بالإيمان الصادق نصبح كالجسد الواحد، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١).

سادساً: بالإيمان الصادق نصبح كالبناء الواحد، يقول ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**، وشبك ﷺ بين أصابعه»(٢).

سابعاً: بالإيمان الصادق يُمكّن لنا في الأرض، نعم، وعد الله عز وجل عباده بالتمكين في الأرض، وكتب في الزبور من بعد الذكر أَنَّ الأرض يرثها عباده الصالحون، والله ـ عز وجل ـ لا يخلف وعده قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

ثامنا: بالإيمان الصادق يهدينا الله عز وجل إلى الصراط المستقيم. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

تاسعاً: بالإيمان الصادق تكون لنا العزة، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٤٦٧)، م: (٢٥٨٥).

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨]. تريدون العزة؟ فالعزة بالإيمان، أما أن تلتفتوا إلى الشرق أو إلى الغرب تريدون العزة، فلا. لأن الله ﷻ يقول: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩].

عاشراً: بالإيمان الصادق نحيا حياة طيبة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

إحدى عشر: بالإيمان الصادق نتحصل على بركات السموات والأرض، أين بركة الرزق؟ أين بركة الأولاد؟ أين بركة المال؟ أين بركة الطعام؟، حيل بيننا وبينها المعاصي، وضعف الإيمان، فيا عباد الله، تريدون البركة؟ إذن فعليكم بالإيمان، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

اثنا عشر: بالإيمان الصادق نتحصل على جنة عرضها السموات والأرض، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨] فسعادة الدنيا والآخرة بالإيمان الصادق، «قل آمنت بالله ثم استقم» على هذا الإيمان حتى تخرج على الإيمان من هذه الدنيا وهذا على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الشعوب والحكومات والحكام، فإن استقمنا على الإيمان تحصّلنا على ما سمعنا مما جاء في كتاب ربنا وفي سنّة نبينا، والاستقامة على الإيمان هي سبيل النجاة؛ ولذلك أمرنا ربنا ـ جل وعلا ـ ورسولنا ﷺ بالاستقامة، فقال ـ تعالى ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

وأمر الله ﷻ المؤمنين بالاستقامة فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ

لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾ [فصلت: ٦]، والرسول ﷺ يأمر أُمّته بالاستقامة فيقول: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

عباد الله! **ما هي الاستقامة؟**

الاستقامة هي:

استقامة القلب على العقيدة الصحيحة، استقامة اللسان على ذكر الله، استقامة الجوارح على الأعمال الصالحة، يقول ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّرْ اللسان فتقولُ: اتق الله فينا، فإنما نحن بك؛ فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا**»[(١)].

وكذلك استقامة على الصراط المستقيم، استقامة على المنهج، استقامة على سبيل الله كما وصَّى ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ورسولنا ﷺ يوضح هذا السبيل أوضح بيان، فيخط خطاً طويلاً ويقول: («**هذا سبيل الله**»، ويخط عن يمينه وعن شماله خطوطاً قصيرة ويقول: «**هذه سبل على كل سبيل منها شيطان**»)[(٢)]، ويقول ﷺ: «**فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاث وسبعون ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**»[(٤)]، فبالإيمان الصادق، وبالاستقامة على هذا الإيمان تنجون من فتن الدنيا وتتحصلون على سعادة الدنيا والآخرة، فمن آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٠٧)، حم: (٣/ ٩٥)، لس: (٢٢٠٩)، ع: (٢/ ٤٠٣)، هب: (٤/ ٢٤٤)، [«ص.ج» (٣٥١)].

(٢) **حسن**: حم: (١/ ٤٣٥)، مي: (٢٠٢)، حب: (٦)، ك: (٢/ ٢٦١)، لس: (٢٤٤)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، حم: (٤/ ١٢٦)، مي: (٩٥)، ك: (١/ ١٧٧)، طب: (١٨/ ٢٤٨)، [«س.ص» (٢٧٣٥)].

(٤) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، ك: (١/ ٢١٨)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

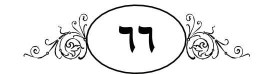
وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، واستقام على هذا الإيمان عقيدة، واتباعاً، ومنهجاً، فاز في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحيا حياة طيبة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦]، وإذا نام الذي استقام على إيمانه في فراش الموت نزلت الملائكة من عند الله ﷻ تبشره كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ـ أي عند خروج الروح تبشرهم وتقول لهم ـ ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، فللّذي آمن واستقام سعادة في الدنيا وبشرى عند الموت، وجنة يوم القيامة، والله ﷻ قد بيّن ذلك في سورة قصيرة نحفظها جميعاً.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [العصر: ١ ـ ٣] ـ والإيمان يحتاج إلى علم كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩] ـ، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ـ أيْ: عملوا بما تعلموا ـ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ ـ أي أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ـ ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ ـ أي: صبروا على هذا العمل، وصبروا على إيمانهم، وصبروا على الاستقامة حتى خرجوا من هذه الدنيا.

أمة الإسلام! وصية عظيمة كلنا في أمس الحاجة إليها في هذا الزمان العجيب الذي كثر فيه من يدعون الإيمان وما هم بمؤمنين.

إخوة الإسلام! إيمان بالله، ثم تدعون غير الله!! هل هذه استقامة؟!! إيمان بالله، ثم تطوفون حول قبور الأولياء والصالحين هل هذه استقامة؟! إيمان بالله ثم تتوكلون على غير الله؟! هذه ليست استقامة؛ لأن الشرع قد نهانا عن ذلك، الاستقامة على الإيمان أن تعبد الله ـ ﷻ ـ كما علّمنا رسول الله ﷺ: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»، فلا تزيد ولا تنقص، فعليك بما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه لتنجو من الفتن، وتموتُ على الإيمان، وتفوزُ بجنةٍ عرضها السموات والأرض.

اللّهم إنّا نسألك إيماناً صادقاً، وعملاً صالحاً متقبلاً



الوصية الرابعة: «عليكم بالصدق...»

عباد الله! لا زلنا معشر المسلمين في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ تعالى مع الوصية الرابعة.

يقول ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»(١).

أمة الإسلام! كلنا في أمسِّ الحاجة إلى هذه الوصية؛ فنحن في زمن عجيب يُصَدَّق فيه الكاذب، ويُكذَّب فيه الصادق، والناس يبيعون ويشترون بالكذب ويتواعدون بالكذب، يكذب الرجل على زوجته، وتكذب الزوجة على زوجها، يكذب الراعي على رعيته، وتكذب الرعية على راعيها، وليس لذلك من دون الله كاشفة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رسولنا ﷺ يقول ـ والخطاب لكل مسلم ـ: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر؛ وإن البر يهدي إلى الجنة ...**»، رسولنا ﷺ يأمرنا في وصيته بالصدق أتدرون لم؟ يا عباد الله:

أولاً: لأن الصدق يهدي إلى البر.

«**والبر**»: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٠٧).

الظاهرة والباطنة، فالصدق يهدي صاحبه إلى البر، والبر يهدي صاحبه إلى الجنة؛ أي: من أراد الجنة فعليه بالصدق في كل شيء، فالصدق طريق إلى الجنة، والصادق في أقواله وفي عقيدته، وفي كلامه ومزاحه، يسلك طريقاً إلى جنة عرضها السموات والأرض.

ولذلك رسولنا ﷺ يقول: «**عليكم بالصدق**»، ويقول ﷺ في حديث آخر: «**عليكم بالصدق؛ فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب؛ فإنه مع الفجور وهما في النار..**»(١).

ثانياً: لأن الإنسان بالصدق يتحصل على خير الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، ولذلك قال العلماء: من أراد الدنيا فعليه بالصدق في كل شيء، ومن أراد الآخرة فعليه بالصدق، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالصدق، والعجيب أن الكفار تعلموا الصدق من المسلمين، وعرفوا أن الدنيا يُتَحَصَّل عليها بالصدق، فتراهم يصدقون في أقوالهم، وفي مواعيدهم أكثر من مسلمي هذا الزمان إلّا من رحم بي. ولا يصدق الكفار لوجه الله إنما ليتحصلوا بالصدق على الدنيا، وقد أخذوا هذه الصفة من المسلمين، في الوقت الذي تخلى المسلمون ـ وللأسف الشديد ـ فيه عن الصدق.

ثالثاً: يقول ﷺ: «**عليكم بالصدق**»؛ لأن الصدق؛ يطمئن القلوب، فالصادق قلبه مطمئن دائماً، والكاذب في ريبه يتردد، يقول ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»(٢).

رابعاً: لأن الصدق في البيع والشراء سبب للحصول على البركة.

فيا معشر التجار، البركة في البيع والشراء مع الصدق، وقلة البركة

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٨٤٩)، حم: (١/٥)، حب: (٥٧٣٤)، خد: (٧٢٤)، لس: (٥)، ع: (١/١١٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٩٣٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٥١٨)، حم: (١/٢٠٠)، لس: (١١٧٨)، ع: (١٢/١٣٢)، بز: (٤/١٧٥)، هق: (٥/٣٣٥)، [«ص.ج» (٣٣٧٨)].

مع الكذب، وأظن أن الذي يعيشه التجار في هذا الزمان بسبب ما اقترفته أيديهم، فقد أخذوا يكذبون في البيع والشراء إلّا من رحم ربي.

يقول ﷺ: «**البيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**»(١)، فيا أيها التاجر، يا من لا تشعر بالبركة لا في البيع ولا في الشراء، اعلم أن ذلك بسبب الكذب في البيع وتغطية العيوب في السلعة، «**فإن صدقا**» في البيع «**وبيَّنا**» ما في السلعة من عيوب «بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».

خامساً: عليكم بالصدق؛ لأن الصدق في طلب الشهادة سببٌ للحصول عليها ولو مات الإنسان على فراشه. يقول ﷺ: «**من سأل الشهادة بصدق بلَّغَهُ الله منازل الشهداء وإن مات على فراشِهِ**»(٢).

سادساً: عليكم بالصدق؛ لأن الصدق يصنع الرجال، ويسعد صاحبه في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

سابعاً: لأن الصدق ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، فهذا كعب بن مالك صحابي جليل تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ولكنه عندما سُئل لم يقدم اعتذاراً واحداً إنما صدق وقال: (يا رسول الله، والله لا أجد لنفسي عذراً في تخلفي عن غزوة تبوك)(٣)، فصدق فنجا بصدقه، وتاب الله عليه، ونزلت توبته قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.

ثامناً: لأن الصدق ينفع في الآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩]. من أجل ذلك ـ أمة

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).
(٢) **صحيح**: م: (١٩٠٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٤١٥٦)، م: (٢٧٦٩) وانظر القصة كاملة.

الإسلام ـ رسولنا ﷺ يأمر بالصدق: «**عليكم بالصدق**»، وربنا ـ جل وعلا ـ في كتابه يأمر عباده بالصدق وبمصاحبة الصادقين، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

عباد الله! إن الصدق عنوان الإسلام، وميزان الإيمان، وأساس الدين، وهو من شيم المؤمنين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والصدق يكون ظاهراً وباطناً، ظاهراً بالأعمال الصالحة، وباطناً بالعقيدة السليمة، الصدق مع الله أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئاً، والصدق مع رسول الله أن تتبعه وحده وتتأسى به وحده، والصدق مع أصحاب رسول الله أن تسلك منهجهم؛ وذلك لأن الله ـ تعالى ـ أثنى عليهم فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

والصدق مع الناس في القول والعمل، ثم يقول ﷺ في وصيته: «**وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور..**» يحذر رسول الله ﷺ أمته من الكذب، أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الكذب يهدي إلى الفجور، «**والفجور**»: هو اسم جامع لكل ما يبغضه الله ﷻ، والفجور يهدي إلى النار ـ أي: أن الكذب طريق إلى النار ـ وأن الكذاب يسلك طريقاً إلى النار، فكونوا من الكذب على حذر. والكذب يا أمة الإسلام من شيم المنافقين ومن أخلاق المنافقين، يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون: ١]، ويقول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث ـ**

وإن صلى وصام وزعم إنه مسلم، إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمن خان»[(١)].

أمة الإسلام! إياكم والكذب على الله، فهناك فريق من الناس تخصصوا في الكذب على الله، والله ﷻ يحذرهم فيقول: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، معشر المسلمين، إياكم والكذب على رسول الله؛ يقول ﷺ: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[(٢)] ويقول ﷺ: «**من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين**»[(٣)].

إياكم والكذب على عباد الله، واتقوا الله في أنفسكم وكونوا مع الصادقين، اتقوا الله في أنفسكم ولا تكونوا مع الكذابين، من أراد الدنيا فعليه بالصدق، ومن أراد الآخرة فعليه بالصدق، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالصدق، ولذلك يقول ﷺ: «**وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً**».

أخا الإسلام! لكي تُكتبَ عند الله صِدِّيقاً، وتُنَادىٰ في الملأ الأعلى بالصادق فعليك بالصدقِ في كل شيء، ومما يعينك على تحصيل الصدق مصاحبة الصادقين، ومجالستهم؛ فالصاحب ساحب، إن جلست مع الصادقين علَّموك الصدق، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وربَّ سائل يسأل: من هم الصادقون؟ وكيف نعرفهم؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩). (٢) **صحيح**: م: (٣).

(٣) **صحيح**: هـ: (٤٠)، حم: (٤/ ٢٥٠)، لس: (٦٩٠)، طب: (٢٠/ ٤٢٢)، [«ص. هـ» (٣٨)].

الله ﷻ دلَّنا عليهم في سورة البقرة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فانظروا إليهم عباد الله، صدق مع الله في العبادة، صدق في العقيدة، صدق مع الناس.

ويقول ﷺ: «**وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»، هناك من المسلمين الآن ـ وللأسف الشديد ـ من يكذب ويتفنن في الكذب، ويتحرى الكذب، يكذب على نفسه وعلى أهله وعلى زوجته، ويكذب في عمله، وفي بيعه وشرائه، ويكذب في مزاحه، يمزح بالكذب ليضحك الناس، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً، فمن أراد أن ينجو من الكذب فلا يصاحب الكذابين، وإن وجدت في صاحبك الكذب، فابتعد عنه فإنه ساحب يسحبك إلى الكذب لتكون كذاباً، وتتعلم منه الكذب، فتكتب عند الله كذاباً، والكذب سواد في الوجه في الدنيا، وسواد في الوجه يوم القيامة، وفضيحة للكذاب في الدنيا، وفضيحة للكذاب يوم القيامة.

اللّهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى
أن ترزقنا الصدق في القول والعمل
وأَن تحفظنا يا ربَّنا مِنَ الكذب والكذابين

❁ ❁ ❁

٦٧

الوصية الخامسة: «اتقوا الظلم...»

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الخامسة.

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»(١).

عباد الله! هذه وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من الظلم، ومن الشح، فمع الشطر الأول من هذه الوصية العظيمة نعيش حيث يقول ﷺ: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**».

الظلم هو: وضع الأشياء في غير مواضعها.

والظلم نوعان:

النوع الأول: وهو ظلم الإنسان لنفسه، ويكون ذلك بالكفر وبالشرك وبالمعاصي فكل من كفر بالله فقد ظلم نفسه، وذلك ـ يا عباد الله ـ لأن الله ﷻ خلق هذا الإنسان لعبادته فكفر هذا الإنسان بربه، وهذا ظلم عظيم ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، ومن أشرك بالله فقد ظلم نفسه بهذا الشرك؛ لأن الله ﷻ خلق الإنسان لعبادته، وأمره أن يعبده وحده، وحذره من الشرك، ومع ذلك أشرك هذا الإنسان بربه!! وهذا ظلم عظيم.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

عباد الله! والإنسان إذا مات ظالماً نفسه بهذا النوع من الظلم؛ أي: إن مات كافراً أو مشركاً، فالله ـ عز وجل ـ لا يغفر له أبداً؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فمن مات كافراً، أو مشركاً لا يغفر الله له أبداً.

ومن اقترف المعاصي فقد ظلم نفسه، فالله عز وجل يقول: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]؛ أي: باقتراف المعاصي والذنوب، ولكن من مات على التوحيد، ومات على العقيدة الصحيحة وهو يقترف الذنوب والمعاصي من الكبائر والصغائر فهذا أمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له وعفا عنه بفضله.

عباد الله! **النوع الثاني من الظلم هو**: ظلم الإنسان لغيره، وهذا النوع من الظلم حرّمه الله علينا، فقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا..**»[١]، ورسولنا ﷺ يحذر أمته من هذا الظلم، ويحذر أن يظلم أحدنا غيره، فقال ﷺ: «**اتقوا الظلم..**»[٢]، وقال ﷺ: «**لَتُؤَدَّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاةِ القرناء، تنطحُها**»[٣]، فيا ويل من ظلم! ويا ويل من لقي الله ظالماً يوم القيامة! ماذا يقول لربه؟! وقد قال ﷺ محذراً من الظلم: «**من اقتطع حق امرىءٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسير يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من**

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٣) **صحيح**: م: (٢٥٨٢)، حم: (٢/٣٠١)، [«ص.ج» (٥٠٦٢)].

أراكٍ»[١]؛ أي: السواك الذي يستاك به المسلم عند وضوئه وصلاته، وقال ﷺ: «**من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ من عرضٍ أو مالٍ، فليتحلله اليوم، قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل، أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه**»[٢].

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه داعياً في بلاد اليمن: «**واتق دعوة المظلوم**»[٣]، ويلك أيها الظالم!! والله إذا دعا عليك المظلوم فالله عز وجل يقول: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[٤]، ابن آدم، إياك أن تظلم بمالك، إياك أن تظلم الناس بمنصبك، إياك أن تظلم الناس بصحتك، إياك أن تظلم الناس بعشيرتك، الظلم عاقبته وخيمة. ابن آدم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً   فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تَنم

أيها الظالم تنام عيناك والمظلوم لا ينام يدعو عليك في جوف الليل، والله عز وجل يستجيب له.

عباد الله! «**اتقوا الظلم**»؛ فإن الظلم سبب لخراب الديار، وسبب لهلاك الأمم والشعوب.

يقول ﷺ: «**إن الله تعالى ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]»[٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى

---

(١) **صحيح**: م: (١٣٧).
(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ٥٠٦)، هق: (٦/ ٦٥)، حل: (٦/ ٣٤٣)، [«ص.ج» (٦٥١١)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٤٢٥)، م: (١٩).
(٤) **حسن لغيره**: طب: (٤/ ٨٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٣٠)].
(٥) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩).

ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ١٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩].

عباد الله! «**اتقوا الظلم**»؛ فإن الظلم سبب للعنة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

«**اتقوا الظلم**»، فإن الظلم سبب للعذاب عند الموت، فالذي ظلم الناس بماله، والذي ظلم الناس بعشيرته وصحته، إذا نام في فراش الموت نزلت عليه الملائكة تبشره بعذاب أليم وتضربه على وجهه ودبره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

«**اتقوا الظلم**»، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ظلمات بعضها فوق بعض، يقف الظالم في أرض المحشر والمظلومون حوله كل يريد حقه، ويومها يعض الظالم على يديه من شدة الحسرة والندامة وذلك عند وضع الموازين بأمر من رب العالمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويقول ﷺ: «**أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ**

وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضىٰ ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»(١).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]؛ إلى أين؟ إلى نار حامية، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة.

عباد الله! ثم قال ﷺ في وصيته: «**واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**».

الشح هو: أعلى درجات البخل.

- **والبخل**: مرض خطير أصاب كثيراً من المسلمين في هذا الزمان.

فمنعهم من الزكاة، ومنعهم أن يتصدقوا، ومنعهم أن ينفقوا في سبيل الله، فلا همَّ لهم إلّا أن يجمعوا المال من حله ومن غير حله، بل ودفعهم هذا البخل إلى أن قطعوا أرحامهم، وسفكوا دمائهم، وقتل بعضهم بعضاً، ولذلك فالبخل شرٌ ووبال على صاحبه في الدنيا والآخرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- البخل مرض خطير يجر صاحبه إلى النفاق، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٨١).

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

• والبخل سببٌ لحياة الضنك، فالبخيل لا همَّ له إلا أن يجمع المال، يبخل على الناس، ويبخل على نفسه، وعلى أولاده، ولا ينتفع بماله في الدنيا، ولا ينفعه ماله يوم القيامة، ولذلك بيّن لنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن البخيل يعيش حياة العسر دائماً، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل: ٨ ـ ١١].

• البخل سببٌ للقتل، وقطيعة الأرحام، فكم من رجل قتل أخاه بسبب البخل، وكم من أبٍ خسر ابنه بسبب البخل، وكم من ولد خسر أباه بسبب البخل، كما قال ﷺ: «**واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[(١)]، من أجل ذلك كان ﷺ يستعيذ بالله من هذا المرض وهو البخل، يقول ﷺ: «**اللّهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل**»[(٢)].

وربنا ـ جل وعلا ـ علّق فلاح الدنيا والآخرة على وقاية النفس من مرض الشح فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

نسأل الله العظيم أن يباعد بيننا وبين الظلم
كما باعد بين المشرق والمغرب
وأن يطهرني وإياكم من مرض الشح والبخل

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).
(٢) **صحيح**: خ: (٦٠١٣).

٦٨

الوصية السادسة: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل...»

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السادسة، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ **قال: «بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**(١).

وصية عظيمة من رسول عظيم يأمر أُمّته أن يبادروا بالأعمال الصالحة، فيقول ﷺ: «**بادروا**» أي: سارعوا؛ أي: سابقوا بالأعمال؛ أي: بالأعمال الصالحة، والعمل الصالح الذي يقبل عند الله يوم القيامة هو ما كان لله وكان على هدى رسول الله.

عباد الله! وهنا سؤال مهم ألا وهو: لماذا رسول الله ﷺ يوصي أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة؟

أولاً: لأن سعادة العبد في الدنيا والآخرة تتوقف على الأعمال الصالحة.

• فبالعمل الصالح يحيا الإنسان في هذه الدنيا حياة طيبة، فالله ﷻ ربط بين العمل الصالح وبين الحياة الطيبة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فمع الأعمال الصالحة تكون الحياة الطيبة، ومع الأعمال السيئة يعيش الإنسان في هذه الدنيا في ضنك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

عباد الله! بالأعمال الصالحة يحيا الإنسان في الآخرة حياة طيبة في جنات النعيم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

- وبالأعمال السيئة يعيش الإنسان في الآخرة في نار جهنم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٧].

فبالأعمال الصالحة نحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة، وبالأعمال السيئة وبالمعاصي نحيا في الدنيا حياة الضنك وفي الآخرة في جهنم، ولذلك قال ربنا ـ جل وعلا ـ في الحديث القدسي: «**يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»(١).

عباد الله! بالأعمال الصالحة نُمَكَّنُ في الأرض؛ فإن التمكين، والسيادة، والعزة، والكرامة، لا تكون إلَّا في ظل الأعمال الصالحة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٧٧).

مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

• أما بالأعمال السيئة، والمعاصي، وترك الصلاة، والربا، والكذب...، فإننا نحيا حياة الذل والهوان، ورسولنا ﷺ قد ربط بين الذل وبين المعاصي.

فقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(١)].

• فالإنسان بالأعمال الصالحة ينجو من الخسران المبين في الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

عباد الله! وبالأعمال الصالحة ينجو الإنسان من ميتة السوء ومن مصارع السوء.

يقول ﷺ: «**صَدقةُ السرِّ تطفئُ غضب الرب، وصلة الرَّحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء**»[(٢)].

• وبالأعمال الصالحة ينجو الإنسان من عذاب القبر، يقول ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»[(٣)]، يبقى معه في قبره، فإن كان صالحاً أكرمه، وإن كان سيئاً أهانه؛ من أجل ذلك كله رسولنا ﷺ يوصي أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة.

ثانياً: يأمر رسول الله ﷺ أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة؛ لأننا هنا في دار عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، والإنسان في هذه الدار قد يتعرض لفتن كقطع الليل المظلم كما قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال،**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].
(٢) **صحيح**: هب: (٣/٢٤٤)، [«ص.ج» (٣٧٦٠)].
(٣) **صحيح**: خ: (٦١٤٩)، م: (٢٩٦٠).

فتناً كقطع الليل المظلم»، والإنسان في الظلمة لا يميز بين الحق والباطل، ولا بين الحلال والحرام، فلا يقدر على الأعمال الصالحة، ولذلك يجب على الإنسان أن يبادر بالأعمال الصالحة قبل أن تنزل الفتن، وها نحن في زمن لا يمر علينا يوم إلا وتصب فيه الفتن على رؤوس الناس صباً، ولذلك يقول ﷺ قبل أن تنزل الفتن: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم**»، ويقول ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[١]. اليوم صحة وغداً مرض، اليوم حياة وغداً موت، اليوم غنى وغداً فقر، اليوم شباب وغداً شيخوخة. وكان ﷺ يقول لابن عمر: «**كُن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**»[٢] والغريب في بلد الغربة لا همَّ له إلا أن يتزود بالزاد الذي جاء من أجله ليرجع ويعود إلى وطنه، وكذلك المسلم في هذه الدنيا غريب لا همَّ له إلَّا أن يتزود بالتقوى ليعود إلى وطنه الذي كان فيه أبوه آدم وهو الجنة.

وكان ابن عمر يقول بعدها: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك)[٣]، نعم وخذ يا عبد الله من غناك لفقرك، وعد نفسك من أصحاب القبور، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً.

عباد الله!

إنا لنفرحُ بالأيام نقطعُها ... وكلُّ يوم مضى يُدْنِي منَ الأجلِ
فاعملْ لنفسكَ قبلَ الموتِ مجتهداً ... فإنما الربحُ والخسرانُ في العملِ

عباد الله!

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظة ... وأيامُنا تُطْوى وهُنَّ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنَّهُ ... إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ

---

(١) **صحيح**: ك: (٤/ ٣٤١)، ش: (٧/ ٧٧)، هب: (٧/ ٢٦٣)، [«ص.ج» (١٠٧٧)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣). (٣) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا فكيفَ بهِ والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ من التُّقَىٰ فعمركَ أيامٌ وهُنَّ قلائِلُ

عباد الله! بادروا بالأعمال الصالحة، فماذا تنتظرون؟ واستجيبوا لوصية رسول الله، فماذا تنتظرون؟ هل تنتظرون فقراً مُنْسِياً، أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر! فماذا تنتظرون؟ تنتظرون الفتن التي عندها يصبح الحليم حيرانَ! فتنة المال؛ وكم من الناس افتتن بماله؟! فتنة الفقر؛ وكم من الناس افتتن بالفقر، فتنة النساء؛ وكم من الناس افتتن بالنساء؟ يقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»[(١)].

ثالثاً: يأمر رسول الله ﷺ أمته بالمبادرة بالأعمال الصالحة؟ لأن الإنسان يخرج من هذه الدنيا فجأة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤]، ولذلك فإن العاقل قبل أن ينزل به الموت يتزود بالأعمال الصالحة في غناه، في شبابه، في صغره، في منصبه.

ابن آدم:

تزوْد منَ التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ منْ صحيحٍ ماتَ منْ غيرِ علةٍ وكمْ منْ عليلٍ عاشَ حينا منَ الدهرِ
وكمْ مِنْ صغارٍ يُرْتَجى طولُ عمرِهِم وقد أُدْخلتْ أجسادُهم ظلمةَ القبرِ
وكم منْ فتىً يُمْسي ويُصْبح ضاحكاً وقد نُسِجت أكفانُه وهوَ لا يدري
وكم منْ عروسٍ زينوها لزوجِها وقدْ قبضتْ أرواحُهُم ليلةَ القَدْرِ

بادروا بالأعمال الصالحة؛ فالإنسان يندم إذا نزل به الموت، والله ﷻ حذرنا أن ننشغل بالأموال والأولاد عن الأعمال الصالحة.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤٠).

• وبيّن الله ﷻ لنا أن الإنسان يندم إذا نزل به الموت، ويتمنى أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً، ولكن لا يُجابُ طلبُه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

• فهذا المفرط فرّط في الأعمال الصالحة، يندم عند الموت، ويطلب أن يعود إلى الدنيا ليعمل صالحاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ندم عند الموت.

ويوم القيامة إذا وقف المفرط في أرض المحشر ورأى العذاب. يقول تعالى في وصف حالهم حيث يقولون: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

• وإذا جيء بجهنم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

• الله ﷻ يحذّر المفرِّط من الندم يوم القيامة فيقول: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر: ٥٦ ـ ٥٩].

• وها هم الذين فرّطوا في الأعمال الصالحة عندما دخلوا جهنم، اسمعوا ماذا يقولون وماذا يريدون، يقول الله ﷻ: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ - فيقول الله لهم - ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

عباد الله! والله إنها لوصية غالية، وصية فيها سعادة الدنيا والآخرة.

اللّهم إنا نسألك عملاً صالحاً متقبلاً

❁ ❁ ❁